جـــامعـــة الـــشهيد حمه لـــخضر ــ الـــوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية

مفهوم الوطنية لدى الأمير خالد1875-1936 والشيخ عبد العزيز الثعالبي 1876-1944
دراسة مقارنة

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الطالبتين:
فطيمة بن عمر
فاطمة الزهرة منيعي

الأستاذ المشرف:
د. محمد عبد الرؤوف ثامر

الرقم	اللقب والاسم	الصفة	الجامعة
01	الأستاذ: نور الدين ميمي	رئيساً	جامعة شهيد حمة لخضر
02	الدكتور: عبد الرؤوف ثامر	مشرفا ومقررا	جامعة شهيد حمة لخضر
03	الأستاذ: رضا ميموني	مناقشا	جامعة شهيد حمة لخضر

السنة الجامعية: 1437ــ1438هـ/2016ــ2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ربّ أوزعنِي أن أَشْكُرَ نِعمَتَكَ التِي أنْعَمْتَ عَليَّ وعَلىَ والِدَيَّ وَأنْ أَعْملَ صَالِحًا تَرضَاهُ وأَدْخلنِي بِرحْمَتِكَ فيِ عِبادِكَ الصَّالحِينَ﴾

سورة النمل :الآية 19

شكر وعرفان

يقول رسول الله صـلى الله عليه وسلم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

من منطلق هذا الحديث نتوجه إلى الله تبارك وتعالى بالحمد والشكر

والثناء على أن وفقنا في انجاز هذا العمل

على ما فيه من ضعف البشر وقصر النضر

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذنا ومشرفنا

"**ثامر عبد الرؤوف**"

على توجيهاته ونصائحه فله منا كل التقدير والاحترام

كما نتقدم بجزيل الشكر لكل من الدكتور: "موسى بن موسى"

والدكتور: "السعيد عقيب" على مساعدتهما لنا

أيضا كل الشكر والتقدير للأستاذ:عوادي محمد على كل ما قدمه لنا

قائمة المختصرات :

تر: ترجمة.

ج: الجزء.

ش.ت.ت: الشركة التونسية للتوزيع.

ش.ت.ن.ت: الشركة التونسية للنشر والتوزيع.

ص: الصفحة.

ط: الطبعة.

م.د.و.ع: مركز الدراسات الوحدة العربية.

م.و.د.ب.ح.ث: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 .

مقدّمة

منذ أن قامت القوات الفرنسية باحتلال بلدان المغرب العربي، سعت إلى إنكار وجودها، وعملت على إلغاء حقوقها وطمس هويتها مستعملة في ذلك جميع الوسائل والأساليب، وعلى الرغم من تباين النظام الاستعماري في الأقطار المغاربية، إلا أن سياسته وأهدافه كانت نفسها.

وفي ظل هذا التهديد الخطير والظروف القاسية التي كان يمر بها المغرب العربي عامة والجزائر وتونس خاصة، والتطورات الخارجية ظهرت العديد من النخب والشخصيات الإصلاحية في المغرب العربي ذات اتجاهات وإيديولوجيات سياسية وفكرية مختلفة لمواجهة هذا الاستعمار والتصدي له, ومن بين هذه الشخصيات التي جابهت الاستعمار وسياسيته نجد الأمير خالد وعبد العزيز الثعالبي.

إشكالية الدراسة:

إن تحديد مفهوم الوطنية عند الأمير خالد وعبد العزيز الثعالبي من خلال نشاطهما السياسي يحظى على جانب كبير من الأهمية، فهو يطرح إشكالية جوهرية شيقة تهدف إلى تسليط الضوء على هاتين الشخصيتين، وعليه فسنحاول من خلال تحديد أوجه الاختلاف والتشابه تحديد مفهوم الوطنية لديهما.

وتتفرع عن هاته الإشكالية أسئلة فرعية التالية :

– بماذا تميزت مراحل حياة الأمير خالد من حيث النشأة ومساره العلمي والعسكري؟وبماذا تميز نشاطه السياسي؟

– ما هي أبرز عوامل تشكل الوطنية عنده ؟ وكيف جسد الأمير مفهوم الوطنية من خلال نضاله السياسي ؟

– بماذا تميزت مراحل حياة الشيخ عبد العزيز الثعالبي من حيث مولده ونشأته وتعلمه و رحلاته واهم مؤلفاته ؟ وما هي محطات ومجريات عمله السياسي؟

– ما هي أهم عوامل تشكل الوطنية عند الثعالبي ؟وكيف جسد وطنيته من خلال نشاطه السياسي؟

دواعي اختيار الموضوع :

هناك عدة أسباب دفعتنا إلى اختيار الموضوع أهمها :

– الميل الشخصي لدراسة موضوع في مجال تخصصنا تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، وتسليط الضوء على جانب من الحركة الوطنية الجزائرية ونظيرتها التونسية.

– التعرف أكثر عن شخصية الأمير خالد وعبد العزيز الثعالبي وكذا مجريات نشاطهما السياسي ومسارهما في طرد المستعمر.

– توضيح مفهوم الوطنية عند الرجلين من خلال نضالهما وكفاحهما السياسي.

– عقد المقارنة بين الشخصيتين من خلال مدى تجسيدهما للوطنية وإبرازها.

حدود الدراسة :

تسلط دراستنا الضوء على دور الأمير خالد في الحركة الوطنية الجزائرية، ودور الثعالبي في الحركة الوطنية التونسية، حيث يمتد الإطار التاريخي لهذه الدراسة من: تقاعد الأمير خالد من الجيش الفرنسي سنة 1919 واستقراره بالجزائر العاصمة، والتحاقه بالنشاط السياسي في الجزائر، وكذا نفيه سنة 1923 خارج البلاد وقد امتازت هاته الفترة بزخم كبير من الأحداث والتطورات الهامة في نضاله وخطوات كفاحه، وتواصل نشاطه بعد النفي إلى غاية وفاته سنة 1936 بدمشق.

ومن جهة أخرى يتزامن الإطار الزماني والمكاني من خلال النشاط السياسي لعبد العزيز الثعالبي وبدايات العمل الوطني بتأسيس جريدة سبيل الرشاد سنة1895، وانضمامه لحركة تونس الفتاة سنة 1907، ثم نفيه إلى فرنسا سنة 1912، وتعد هاته الفترة حافلة بالنشاط

السياسي والتطورات في مسيرة كفاحه ضد قوات الاحتلال ونضاله من اجل تحرير تونس إلى غاية وفاته سنة 1944.

أهداف الدراسة :

نهدف من خلال هذا البحث إلى :

– تزويد المكتبة بدراسة علمية محكمة للاستفادة منها، ألا وهي دراسة الحركة الوطنية في كل من تونس والجزائر، وخصوصا حركة الأمير خالد السياسية، وعبد العزيز الثعالبي.

– الوقوف عند الحركة الوطنية الجزائرية، وجس نبض بدايات العمل الوطني ومجريات النشاط السياسي للأمير خالد.

– تسليط الضوء على مرحلة من مراحل الحركة الوطنية التونسية، بقيادة عبد العزيز الثعالبي واهم الأحداث التي شهدتها الساحة السياسية التونسية في هاته الفترة.

– توضيح مفهوم الوطنية عند الأمير خالد وعبد العزيز الثعالبي، وإبراز عوامل تشكلها عندهما والوقوف على أوجه التشابه والاختلاف من خلال المقارنة بين نشاطهما السياسي.

– رصد أهم نقاط التشابه والاختلاف والعلاقة بين الحركة الوطنية في المغرب العربي وخاصة الجزائر وتونس.

– ومن خلال دراستنا أردنا أن نطلع على الكفاح السياسي لهاتين الشخصيتين لأنهما أصحاب المبادرة الأولى لبوادر الحركة الوطنية لكلا القطرين.

المنهج المتبع:

ولتناول هذا الموضوع ودراسته اعتمدنا على المنهج التاريخي لأجل الإحاطة بكل جوانب الموضوع، وأهم مجريات النشاط السياسي للشخصيتين، وكذا المنهج المقارن للكشف

على أوجه التشابه والاختلاف في مفهوم الوطنية عندهما، بالإضافة إلى الاعتماد على عدة مناهج أخرى التي واكبت هذه الدراسة.

المصادر والمراجع:

ولإثراء هذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع، فيما يخص الأمير خالد فكانت أهم المراجع المعتمدة هي: كتاب مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962) إبراهيم مياسي، وكتاب الأمير خالد الهاشمي بسام العسلي، وكذا كتاب الأمير خالد ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية حكيم بن الشيخ .

هذه بعض المراجع المهمة التي ساعدتنا في التعرف على مراحل حياة الأمير خالد وكذا مجريات نشاطه السياسي.

أما فيما يخص عبد العزيز الثعالبي فقد اعتمدنا على أهم مصدر وهو تونس الشهيدة لصاحبه عبد العزيز الثعالبي، وكذا كتاب الحزب الدستوري التونسي (1919-1962) ل: يوسف مناصرية، أيضا كتاب عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية ل: أنور الجندي .

هذه المصادر والمراجع المهمة التي أفادتنا في التعرف على شخصية عبد العزيز الثعالبي وعلى مساره في تحرير تونس .

خطة البحث :

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على خطة مكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة .

الفصل الأول بعنوان: الأمير خالد والشيخ عبد العزيز الثعالبي.

الفصل الثاني بعنوان: الوطنية في فكر الأمير خالد وعبد العزيز الثعالبي.

أما فيما يخص المقارنة فقد تطرقنا إليها في خاتمة حيث حاولنا إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين مفهوم الوطنية عند الرجلين .

أهم الصعوبات:

من خلال تناولنا للموضوع واجهتنا عدة صعوبات والتي ممكن أن يعرض إليها أي باحث:

– صعوبة فهم الموضوع : أي مصطلح الوطنية ،وعلى أي أساس نوضح مفهوم الوطنية عند الأمير خالد وعبد العزيز الثعالبي.

– صعوبة المقارنة من حيث رصد أوجه التشابه والاختلاف ، لما تتطلبه من مجهود فكري ودقة في الملاحظة .

الفصل الأول

الحياة الشخصية للأمير خالد والشيخ الثعالبي

المبحث الأول: الحياة الشخصية للأمير خالد

المبحث الثاني: الحياة الشخصية لعبد العزيز الثعالبي

إن الاستعمار الفرنسي لبلدان المغرب العربي الواحدة تلوى لأخرى، انجر عنه ممارسات وسياسات تعسفية جائرة في حق الشعوب المغاربية, تتنافى مع القوانين والأعراف الدولية مما أدى لردة فعل من طرف هذه الشعوب، ونخبها السياسية والإصلاحية بمختلف مشاربها وتوجهاتها أمثال: عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي والأمير خالد بالجزائر وعبد العزيز الثعالبي بتونس وعبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي بالمغرب الأقصى, وسليمان الباروني بليبيا وغيرهما, قاومت النخبة الاستعمار بهدف تحرير أقطارها من هيمنته ويعتبر الأمير خالد وعبد العزيز الثعالبي من بين هذه الشخصيات التي قاومت الاستعمار بمختلف مخططاته وأشكاله وألوانه وهذا ما دفعنا إلى دراسة هاتين الشخصيتين على المستوى الشخصي والفكري والنضال السياسي .

المبحث الأول: الحياة الشخصية للأمير خالد.

الأمير خالد بن الهاشمي الجزائري, حفيد بطل المقاومة الوطنية المسلحة الأمير عبد القادر, وخليفته في الدفاع عن الإسلام والجزائر, رجل عمل على فضح سوءات الاستعمار وإسقاط الأقنعة عن مزاعم الحضارة الغربية, وهو مناضل مهد الأرضية للحرية من خلال النضال السياسي, ووهب للجزائر كل حياته ونشاطه وذكائه, وقدم للإسلام كل عواطفه وقلبه, قلب رجل شريف نبيل لا يخشى في الله وفي سبيل إحقاق الحق صولة جاهل ولا لومة لائم[1].

نسبه و مولده:

خالد الهاشمي بن عبد القادر، بن محيي الدين، بن مصطفى، بن محمد بن محمد بن المختار بن عبد القادر، بن أحمد بن محمد بن عبد القوي، بن يوسف بن أحمد بن شعبان، بن محمد بن إدريس الأصغر، بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى، بن الحسن بن فاطمة بنت محمد رسول الله, وزوجة علي بن أبي طالب ابن عم الرسول "ص"[2].

ولد الأمير في دمشق في 20 فيفري 1875م الموافق ل1292 هـ. والده الهاشمي بن الأمير عبد القادر، مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة, وقائد المقاومة ضد المستعمر الفرنسي,

[1]– سعيد بورنان : شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830– 1962), ط2, دار الأمر, ج2, 2004, ص37.

[2]– قناة الجزائرية الثالثة: جازية بايو رمضان, شريط وثائقي بعنوان يوم في ذاكرة الجزائر, الجزائر, 2006.

وكان الأمير عبد القادر قد وقع في الأسر سنة 1847م, ونفي إلى فرنسا أولا ثم غادرها إلى اسطنبول بتركيا, ثم انتقل إلى دمشق ليستقر بها وهناك ولد الأمير خالد[1].

كان الأمير خالد متوسط الطول (واحد متر وخمسة وسبعون سنتيمترً) مع انحناء بسيط في ظهره كان له صدر واسع وكتفين عريضين ولحية سوداء، وأنف مستقيم، وهذه السمات والملامح لها شبه كبير بجده الأمير عبد القادر[2].

اشتهر خالد بلقب "الأمير" وهو لقب شرفي فضله على ألقاب أخرى، كما فضله باقي أحفاد الأمير عبد القادر فهم حريصون على هذا اللقب ليتصدر أسماءهم تأكيداً وتمسكا بنسبهم الجزائري.

أما والدته فقد كانت سوداء البشرة , إلا أن ذلك لا يعد نقصا أو عيبا, لأن الإسلام لا يفرق بين أبيض وأسود[3] .

وهكذا ولد الأمير في بيت من أعرق البيوت نسبا ودينا, وسمعة حسنة سبقته إلى كل دول العالم الإسلامي بالإضافة إلى أنه كان يسمى "بيت التقوى"[4].

تعلمه وتكوينه العسكري

1. تعلمه:

تلقى بدمشق تعليمة الابتدائي, وتتلمذ على أيدي بعض الكرام من شيوخها بالمعاهد الدينية، وأمضى في رحاب دورها ومساجدها، مرحلة طفولته المبكرة وشبابه الفض حتى إذا ما بدأ ساعده يصلب على الحياة, أخذ عوده يقسو على الأيام, قرر والده "الهاشمي" العودة إلى الجزائر سنة 1892م, وخلف وراءه مئات الأفراد من أبناء عمومته, ومضى الأمير وأخوه

[1]– بسام العسلي: الأمير خالد الهاشمي الجزائري, دار النفائس, الجزائر 2010, ص 92.

[2]– صالح الخرفي: الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 101.

[3]– حكيم بن الشيخ: الأمير خالد ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1912– 1936، دار العلوم والثقافة، الجزائر، ص92.

[4]– بسام العسلي: المرجع السابق, ص 92.

في رفقة أبيهما إلى موطن الآباء ومثوى الأجداد في الجزائر المحروسة" بعد أن أذنت له فرنسا بذلك[1].

شرع الأمير خالد في مواصلة دراسته الثانوية في الجزائر, ولم يستمر ذلك طويلا؛ إذ لم تمضي سوى أشهر قليلة حتى تم إرساله وأخيه إلى باريس للدراسة في "ثانوية لويس لوغران"[2] بصفتهما طلابا داخليان يتقاضى المعهد منهما التعويضات المقررة للدراسة[3].

2. تكوينه العسكري:

التحق الأمير خالد بالمدرسة العسكرية الفرنسية الشهيرة "سان سير"[4] في 7 نوفمبر 1893م, وتم قبوله مباشرة دون إجراء الفحص العادي للقبول, ذلك لأن السلطات الفرنسية ترحب بأبناء زعماء البلاد الخاضعة لاستعمارها، وتضمهم للجيش وتكونهم تكوينا عسكريا, وتبقيهم لديها لاستخدامهم في ضرب الحركات الوطنية.

حاولت الإدارة الفرنسية قبول الأمير خالد لا كأجنبي, وإنما كمواطن فرنسي على أمل قبوله الجنسية الفرنسية قبل تخرجه من الكلية. وقد أظهر الأمير تفوقا واضحا في دراسته العسكرية, غير أنه ترك الكلية قبل الوقت المحدد لامتحانات التخرج, وغادر باريس في مطلع سنة 1895م[5]، وقد كان ملفه يحتوي على عبارات تدل على مكنونات شخصية «متكتم، منطوٍ على ذاته، يميل إلى العنف، يحتقر رؤساؤه ويزدريهم»، والحقيقة أن سبب تركه للكلية هو إصابة والده بمرض وصل به إلى مرحلة خطيرة، ونفاذ موارده المالية، مما دفعه إلى استدعاء ابنه خالد للوقوف إلى جانبه في آخر أيامه، ونتيجة لقلق الحكومة الفرنسية

---

[1]– سليمة لكبير: من أعلام الجزائر في العصر الحديث الأمير خالد, المكتبة الخضراء, الجزائر, ص 8.

[2]– ثانوية لويس لوغران: ثانوية بباريس تشغل مكان مؤسسة تعليمية أنشأت سنة 1561، وحملت سنة 1682 اسم لويس الرابع عشر عرفانا بالآمال الجميلة التي قدمها لفرنسا، ثم أصبحت تعرف بأسماء كثيرة كمدرسة المساواة الثانوية الإمبراطورية ثم لويس الكبير سنة 1849، ينظر: حكيم بن الشيخ: مرجع سابق، ص 146.

[3]– سعيد بورنان: مرجع سابق، ص 40.

[4]– سان سير العسكرية: مدرسة عسكرية تقع في مقاطعة "Seine– et– Oise" في دائرة فرساي, وقد أنشأت هذه الكلية سنة 1808 في منزل قديم, وقد دمرت الخلية الحربية أثناء الحرب العالمية (1940– 1944) فنقلة مؤقتا إلى كوتكيدام سنة 1947 وأعيدت بعد ذلك إلى مكانها في «سان سير»، ينظر: بسام العسلي: مرجع سابق: ص94.

[5]– محمد قنانش: ذكرياتي مع مشاهير كفاح, دار القصبة, الجزائر 2005, ص49.

من نوايا الأمير الهاشمي المضادة لفرنسا، وكذا وضعه المالي المتردي والديون المتراكمة عليه، نتيجة لذلك تخوفت الإدارة الفرنسية من أن يدفعه هذا للثورة فعرقلت عودة الأمير خالد إلى الجزائر وعلى هذا تلقى رئيس المباحث الخاصة أمرًا بإعاقة سفر الأمير، ففرضت السلطات الفرنسية على عائلة الهاشمي الإقامة الجبرية في "بوسعادة"[1].

كانت السلطات العسكرية الفرنسية تتابع باهتمام ما كانت تقوم به السلطات المدنية من أعمال ضد عائلة الهاشمي، وأدركت مدى الخطأ الفادح الذي وقعت فيه، فأخذت على عاتقها تصحيح الموقف، ونجح "الجنرال كوليه" في رفع هذه العقوبة، وأعيد قبول الأمير خالد من جديد في الكلية الحربية "سان سير" فالتحق بها يوم 15 ماي 1896م، وذلك للأعمال المحددة لدراسته العسكرية[2].

كان الأمير رفض قبول الجنسية الفرنسية، ولم يبق أمامه إلا متابعة حياته العسكرية العادية كضابط في جيش المواطنين العسكريين الجزائريين، وهو ما سيحرمه من الترقية للرتب العالية مهما كانت كفاءته[3].

تخرج الأمير خالد برتبة ملازم سنة 1897م، وبما أنه رفض التجنس بالجنسية الفرنسية، وبقي ضابطا أهليا، ألحق بفرقة الصبايحية بالمدية، وبعد تنقلات في مختلف الفرق العسكرية في الجزائر والمغرب الأقصى، حصل سنة1908 م ، على رتبة نقيب، وكانت هذه أعلى رتبة يمكن أن يبلغها ضابط جزائري، لا يحمل الجنسية الفرنسية وقد وعدوه بمنحة وسام جوقة الشرف (ليجيون دونور)، تقديرا لجهوده وبطولته، كما وعدوه بتعيينه نائبا للحاكم العام للجزائر، غير أن شيئا من هذه الوعود لم يتحقق، ومقابل ذلك أقر له الحاكم العام للجزائر حق تقاضي تعويض سنوي قدره (2800) فرنك فرنسي، وتم رصده في موازنة الجزائر، بالإضافة إلى التعويض السنوي الذي كان يتلقاه من وزارة الخارجية الفرنسية[4].

[1]– حكيم بن الشيخ: المرجع السابق، ص 62.

[2]– بن يوسف بن خدة: جذور أول نوفمبر، تر: مسعودة حاج مسعود ، دار هومة، الجزائر 2010، ص 30.

[3]– المرجع نفسه ، ص 32.

[4]– بسام العسلي: مرجع سابق، ص95.

لقد كانت الإدارة الفرنسية ترغب يقينا في عدم إتاحة الفرصة أمام الأمير خالد للحصول على هيبة عسكرية، غير أن سلوكه في المغرب ضد رغبته الفرنسية هو الذي ساعده الحاكم العام للجزائر على اتخاذ موقفه العدواني.

وفي سنة 1910 تقدم الأمير بطلب الاستقالة من الجيش الفرنسي، غير أن الجنرال "بايود"[1] قائد الفيلق، أقنعه بالعدول عن استقالته وسحبها، وفي المقابل حصل عل إجازة من القيادة الفرنسية في جويلية 1911م، من أجل زيادة أقاربه في دمشق، وفي سنة 1913 جدد الأمير طلبه، فوافق وزير الحرب الفرنسي على استقالته في 15- 6- 1913، ولكن هذه الاستقالة حددت في شكل إجازة مفتوحة لمدة 3 سنوات، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في أوربا في سنة 1914م، جند الأمير خالد للمشاركة فيها، ثم أخلي سبيله في سنة 1915م، بعد أن أمضى في جبهات الحرب 18 شهرا، بسبب مرض السُل، وما أن تماثل[2] خالد للشفاء من مرضه حتى طلب من القيادة الفرنسية إعفاءه من الخدمة بصورة نهائية فأحيل على التقاعد في نوفمبر 1919م، واستقر بالجزائر العاصمة[3].

نشاطه السياسي: 1919- 1925.

وفي خلال سنتي (1913م- 1919م) برزت شخصية الأمير كشخصية هامة في الحركة الوطنية الجزائرية، فمن خلال مشاركته في الحرب العالمية الأولى تطوعا منه،كانت هذه سياسة فرنسا في تكوينه العسكري ، ومع ذلك فكانت اهتمامات الأمير ونشاطاته

[1]- الجنرال بايود: قائد فرنسي، كان الأمير العام برئيس الجمهورية الفرنسية فيليكس فور (1895- 1899) ثم تولى قيادة الفيلق التاسع عشر في الجزائر والتابع للجيش الأفريقي، وأحيل للتقاعد سنة 1914، فرشح نفسه لانتخابات المجلس النيابي نائبا في الجزائر، وممثلا لجبهة الدفاع عن العلاقات الإسلامية- الفرنسية، غير أن خصمه بروسيه فاز عليه في الانتخابات، ينظر: بسام العسلي: قادة الجزائر التاريخيون، دار العزة والكرامة، ج3، الجزائر، 2009، ص 524.

[2]- بسام العسلي: الأمير خالد ... ، مرجع سابق، ص 95.

[3]- حكيم بن الشيخ: مرجع سابق، ص71.

السياسية ليست بعيدة عن معاناة وويلات الجزائريين ولا عن انشغالات النخبة الجزائرية، وحركة الجزائر الفتاة[1].

لقد أعفى من الخدمة العسكرية في نهاية 1915م، وتحصل على التقاعد سنة 1919م ليتفرغ بعدها للحياة السياسية[2].

فغداة الحرب العالمية الأولى، أراد الأمير خالد طرح القضية الجزائرية أمام عصبة الأمم[3]، لذلك نظم عام 1919م اجتماع طالب فيه المشاركين بالإمضاء على مذكرة موجهة إلى الرئيس الأمريكي ويلسون[4]، بمناسبة انعقاد مؤتمر الصلح بفرساي في جانفي 1919م، ولقد ترتبت مطالب الأمير عن الصدى الواسع الذي أحدثه تصريح ويلسون (جانفي 1917م) بشأن حق الشعوب في تقرير مصيرها[5].

تعتبر سنة 1919م البداية الحقيقية لنشاط الأمير في الميدان السياسي لأنها شهدت انقسام جماعة النخبة[6] على نفسها حول مسألة الاحتفاظ بالأحوال الشخصية الإسلامية، ثم تزعم التيار الأول المعروف بالتيار الليبرالي عدد من أبرز وجوه حركة الجزائر الفتاة في

---

[1]– حركة الجزائر الفتاة: أسسها طبقة من الجزائريين المثقفين بالفرنسية التي طالبت بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين، منهم الحاج عمار، الصادق دندان، بوخربة، لم يكتب لهذه الحركة طويلا فضايقتها فرنسا وحلتها لتتفرغ للحرب، ينظر :أمحمد المالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت1994،ص 24.

[2]– حكيم بن الشيخ: مرجع سابق، ص 58.

[3]– عصبة الأمم: تأسست في معاهدة فرساي في يونيو من عام 1919، وتهدف للحفاظ على السلام العالمي والحد من الحروب والنزعات التي دمرت العالم، انضمت لها 44 دولة، إلا أن الو.م.أ، روضت الانضمام إليها لأنها اعتبرت أن الهدف الأساسي من تأسيس العصبة سيطرة الدول الأوروبية الكبرى على غنائم الحرب العالمية الأولى، ينظر: أمحمد المالكي: مرجع سابق، ص 36.

[4]– وودرو ويلسون: رجل سياسي أمريكي، ولد بمنطقة ستانتون بولاية فيرجينيا سنة 1856: الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية (1913– 1921) قاد الو.م.أ إلى أن فازت بالحرب العالمية الأولى، وعرف ببنوده الـ 14 للسلم، وهو أول من أعطى الحمامة كرمز للسلم، حصل على جائزة نوبل للسلام 1919، ينظر: بسام العسلي: قادة الجزائر التاريخيون، مرجع سابق ، ص 401.

[5]– الدبلوماسية الجزائرية من 1830 إلى 1962، دراسات وبحوث حول تطور دبلوماسية الجزائرية، ط2، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954، دار هومة، 1998، ص 138.

[6]– جماعة النخبة: تضم مجموعة من الجزائريين جزاءا منهم، متشبع بالثقافة الفرنسية حتى النخاع، مثل ابن جلول وابن التهامي، أما الجزء الآخر فكان متشابها بالثقافتين العربية والفرنسية مثل الأمير خالد، ينظر: عبد الوهاب بن خليف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط1، دار دزاير، الجزائر 2013، ص 32.

فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى أمثال: بلقاسم بن التهامي وصالح دندن ومحمد صوالح، والدكتور تامزالي والمحامي أحمد بوخربة[1].

أما التيار الثاني المعروف بالإصلاحي فقد تزعمه الأمير خالد الذي برز كعنصر فاعل في ميدان العمل الوطني، كما اعتمد على العناصر المنشقة من جماعة النخبة، التي كانت تعارض مسألة التخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية من أجل الحصول على حقوق المواطنة الفرنسية[2].

شكلت قضية الانتخابات في العشرينيات من القرن الماضي، نقطة انطلاق جديدة في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، ومنحت الجزائر فرصة بالغة الأهمية لاستعمال الصندوق وسيلة للتعبير، وفي ذات الوقت تقدم الأمير خالد إلى الانتخابات عام[3] 1919م كمترشح مسلم، وأنه فضح أمام الملأ المتجنسين المرتدين، وكان لبرنامجه وأهدافه السياسية ناحية سلبية في الظاهر، ولكن كم كانت في الواقع إيجابية، وكم كان فيها من بشائر للمستقبل إلا وهي رفض الاندماج، ورفض الانصهار في الجنسية الفرنسية رفضا باتا. وكانت نقطة انطلاق الوطنية والكفاح السياسي الجزائري كله، إذ أن العامة كانت تؤوله كرفض السيطرة الأجنبية ورفض الاحتلال على أكثر أشكاله وصفاته وألوانه ...![4]

ودخل الأمير معترك الانتخابات المحلية في ديسمبر 1919م وتمكن من الفوز على خصومه السياسيين من دعاة التجنس والاندماج والتغريب ،وكان الأمير خلال حملته الانتخابية يطلب من الجزائريين التصويت على قائمة المترشحين المسلمين غير المتجنسين، وكان يفصح عن أعدائه من أصحاب القبعات قائلا لهم: "إذا كنتم تريدون جنة الإسلام فعليكم بانتخابات نحن المسلمين لأننا مؤمنون"[5].

---

[1]- أمحمد المالكي: مرجع سابق ،ص 37.

[2]– محمد الصالح الصديق: أعلام من المغرب العربي،موقع للنشر، ج1، الجزائر 2007، ص 226.

[3]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1930– 1900) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج2، الجزائر 1983، ص 307.

[4]– محفوظ قداش: الأمير خالد وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر2009، ص 34.

[5] - صالح فركوس :المختصر في تاريخ الجزائر ،دار العلوم،عنابة ، الجزائر2003، ص230.

كما أسس الأمير خالد بتاريخ 10 سبتمبر 1920 جريدة اختار لها عنوان «الإقدام» يصدرها باللغتين (العربية والفرنسية) وكأن يدافع من خلالها على مشروعه السياسي – الاقتصادي والاجتماعي، المطالب بالمساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين المحتلين للجزائر[1].

وفي ذات الوقت كانت سلطات الاحتلال تضيق الخناق على المواطنين الجزائريين، وتراقب الحركات السياسية الناشئة وتحصي أنفاسها[2].

ففي هذه الأخيرة ندد الأمير خالد وأصحابه بتجاوزات الإدارة والقيادة وبتلفيق الانتخابات وفضائح الاستعمار في المجالس المحلية قاموا بصفتهم منتخبين بالعديد من الاقتراحات التي تطالب بالقانون المشترك والتمثيل البرلماني للجزائريين المسلمين، فقد كان للأمير الفضل في 1924 في تدقيق برنامج الشبان الجزائريين ،والإلحاح على التمثيل البرلماني للجزائريين المسلمين، أيمكن أن نتصور في بلد ديمقراطي أن أربعة أخماس (4/ 5) السكان الجزائريين يتركون بدون تمثيل؟! بينما تطبق عليهم القوانين الضريبية والعسكرية مثل ما تطبق على الأقلية المفضلة، ونادى الأمير بوحدة القبائل والميزابين والعرب ويجب أن يشكلوا حزبا واحدا في كل الأماكن التي يتواجدون فيها معا[3].

حذرت أبواق الصحافة الاستعمارية من الأخطار التي كانت تشكلها حركة الأمير خالد، فسارعت الحكومة العامة في الجزائر إلى التضييق على نشاطه، ثم قررت نفيه من الجزائر، وعلى الرغم من ذلك حاول الأمير مواصلة العمل السياسي في فرنسا ذاتها إلا أنه اصطدم بالمواقف الاستعمارية نفسها لدى اليسارين الذي وصلوا إلى شدة الحكم في فرنسا في عام 1924، قرر التراجع إلى مصر ثم إلى سوريا حيث توفي سنة 1936، تاركا وراءه

[1]– بسام العسلي: قادة الجزائر... ، مرجع سابق، ص 409.

[2]– بشير كاشة الفرحي: مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007، ص 104.

[3]– محفوظ قداش: – جزائر الجزائريين– تاريخ الجزائر 1830– 1954، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، منشورات ANEP– الجزائر2008، ص 277.

ميراثا عظيما في ميدان العمل السياسي الوطني على الرغم من السنوات القليلة لحركته في الجزائر[1].

وباختصار، فإن الأمير خالد قد قام بخطوة جريئة في عام 1917م ذلك حين شارك مع إخوانه التونسيين في مؤتمر رابطة حقوق الإنسان بباريس وطالب بأن يكون للجزائريين تمثيل في البرلمان الفرنسي وفي مجلس الشيوخ وذلك بدون تخلي الجزائريين عن هويتهم العربية الإسلامية[2].

ونظرا لهذا النشاط السياسي الحافل بانجازات أطلق الكاتب إبراهيم مياسي في كتابه «مقربات في تاريخ الجزائر 1830 – 1962» على الأمير خالد لقب أبو الحركة الوطنية حيث يقول أنه أبو الحركة الوطنية الحقيقي، لأنه يمثل بنشاطه وفكره الاتجاهات الثلاث للحركة الوطنية الجزائرية، والتي تبلورت بوضوح فيما بين الحربين (1919– 1939) وهي الاتجاه الاندماجي والمساواة، وقد مثله الدكتور ابن التهامي ثم الدكتور محمد الصالح بن جلول وفرحات عباس، والاتجاه الاستقلالي والثوري مثله مصالي الحاج ثم جبهة التحرير الوطني، والاتجاه الإصلاحي الإسلامي ومثله الشيخ ابن باديس وجمعية العلماء.

إذن فمرجعية هذه الاتجاهات السياسية هي حركة الأمير خالد قبل وبعد الحرب العالمية الأولى، وهي الفترة التي جسدت الإرهاصات الأولى للحركة الوطنية بأبعادها الفكرية والثقافية والسياسية فالأمير نخبوي ونائب وهو أيضا يساري بولتياري وهو إصلاحي إسلامي.

ومجمل القول هو مزج من الوطنية الدينية فتفرعت عنه الاتجاهات السياسية في الحركة الوطنية الجزائرية، وهي الاتجاهات التي نلاحظها على الخريطة السياسية اليوم[3].

[1]– خيثر عبد النور وآخرون: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830– 1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث الجزائر 2007، ص 244.

[2]– عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997، ص 219.

[3]– إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830– 1962، ط2، دار هومة، الجزائر 2011، ص 224.

وسائل وأهداف نضال الأمير خالد:

1- الوسائل:

تنوعت الوسائل التي استخدمها الأمير خالد في مسيرة نضاله السياسي التي منها:

- الصحافة:

مارسها من خلال صحيفة "الإقدام" التي نالت شهرة واسعة، وقد أسندت إليه رئاسة التحرير في القسم العربي منها، ثم في سنة 1921 أصبح مديرا لها بقسميها العربي والفرنسي، وفيها قام بنشر أفكاره المتمسكة بالطابع الإسلامي للشخصية الجزائرية، وكانت الصحيفة سندا قويا له في الحملات الانتخابية ضد منافسية[1].

- الخطب وإلقاء المحاضرات:

تنوعت هذه بين الحملات الانتخابية في الجزائر و في فرنسا:

حيث كان يخاطب حول الظروف السياسية والاجتماعية التي عايشها المسلمون في الجزائر وقد دافع فيها عن مبادئه وحقوق شعبه بكبرياء ودبلوماسية كما تميزت بالموضوعية وبوفرة المعلومات، وضمنها الفخر العربي بالماضي، التلبد والاعتزاز بأرض الأجداد، نشرت هذه المحاضرات تحت عنوان: "موقف المسلمين في الجزائر" محاضرات ألقيت في باريس بحضور أكثر من 12 ألف مستمع[2].

2- الأهداف:

لقد كانت للأمير جملة من الأهداف،التي صاغها رفقة من التف حوله من زملائه النواب في، برنامج واضح، أرفقة برسالة الرئيس الفرنسي، "هيريوا"[3] جاء فيه:

---

[1]- الأمير خالد: رسالة إلى رئيس ويلسون ونصوص أخرى، وزارة الثقافة، الجزائر 2009، ص 72.

[2]- الهام بوصبيع إبراهيم: حركة الأمير خالد وجمعية العلماء المسلمين، مذكرة ليسانس LMD في التاريخ العام، جامعة الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2013- 2014، ص 49.

[3]- إيدوارد هيريو: رجل سياسي فرنسي ولد سنة 1872، عين رئيس لبلدية ليون سنة 1905، ثم مفوض دبلوماسي ما بين (1912- 1919)، ينظر: حكيم بن الشيخ، مرجع سابق، ص 149.

– مساواة التمييز النيابي في البرلمان الفرنسي بين الجزائريين والأوروبيين القاطنين بالجزائر[1].

– إلغاء القوانين والإجراءات الاستثنائية الخاصة بالجزائر في المحاكم الرادعة والمحاكم الجنائية مع تطبيق القانون العادي العام بنصه.

– المطالبة بنفس الحقوق والواجبات مع الأوروبيين في الخدمة العسكرية[2].

– ارتقاء الجزائريين إلى جميع الرتب المدنية والعسكرية دون تقييد ذلك بشرط سوى الكفاءة والمقدرة الشخصية.

– تطبيق قانون التعليم الإجباري تطبيقا ملي من الجزائريين مع الاحتفاظ بحرية في نوع التعليم.

– حرية الصحافة والاجتماع[3].

– تطبيق فصل الدين عن الدولة على الدين الإسلامي.

– العفو العام عن المعتقلين والمتهمين.

– تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية لفائدة الجزائرين.

– الحرية الكاملة للعمال الجزائريين في الدخول لفرنسا[4].

نفيه ووفاته:

– نفيه:

[1]– سليمة لكبير: مرجع سابق، ص 42.

[2]– إلهام بوصبيع إبراهيم: مرجع السابق ، ص 49.

[3]– سليمة كبير: المرجع السابق، ص 19.

[4]– عبد الرحمن بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920– 1936، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، الجزائر1984، ص92.

لما بدأت الحكومة الفرنسية تتضايف من النشاطات النضالية المكثفة للأمير خالد، استعملت الضغوط الغير مباشرة كأفضل وسيلة تمتلكها لمحاربته، وحق المستوطنون الأوروبيين في الجزائر، شنو عليه وعلى حركته حرب شعواء، فقاموا بحملات عنيفة ضد الأمير وإتباعه، وحملوا الوالي العام الفرنسي في الجزائر على نفيه من البلاد، وقبل هذا بفترة صرح الأمير لزملائه أنه "... لا يستطيع العيش في الجزائر" ليتعرض للنفي في 30 جويلية 1923م إلى مصر[1].

لكن هناك تباين في المراجع، فهناك من يرى، أن طلب أن يرجع إلى بلده سوريا لكن فرنسا قررت أن يذهب إلى أي مناطق فيها نفوذ فرنسي، وكانت سوريا آنذاك لها أربع سنوات تحث الحكم الفرنسي[2].

وصل الأمير خالد إلى مصر، لكنه رغم المنفى لم ينقطع الصوت النضالي حيث واصل نشاطه السياسي فشارك في مؤتمر باريس للدفاع عن حقوق الإنسان وبذلك نقل القضية الفرنسية إلى فرنسا نفسها .

وسعى أيضا لدعم وتأييد الحكومات للقضية الجزائرية[3]، ووجه نداءًا طالبا فيه بعقد مؤتمر إسلامي في كابول، باعتبار أن أفغانستان هي البلد الإسلامي الوحيد الذي لم يخضع للاستعمار، ورغم المحاولات المتكررة للأمير، إذ أنه أراد أن يخرج من الإسكندرية إلى الشام، ولكن هو ممنوع عليه، فاستخدم جواز سفر مزور وأوراق ثبوتية زائفة لمغادرة مصر، وكان القنصل الفرنسي يراقبه في كل تحركاته لكن حاول الهروب منه في الباخرة وفي ميناء إسكندرية، اكتشف أمره فأحيل إلى محكمة قنصلية في الإسكندرية واعتقل، وأصدرت المحكمة حكما عليها في شهر أوت سنة 1925 بالسجن لمدة 5 أشهر.

[1]– قناة اقرأ: محمد موسى الشريف، شريط وثائقي بعنوان الأمير خالد الهاشمي والصراع السياسي،شوهد يوم 02 فيفري 2017، على الساعة 11:15.

[2]– بسام العسلي: الأمير خالد...، المرجع السابق، ص126.

[3]– قناة الجزائرية الثالثة: جازية بايو رمضان، شوهد يوم 03 فيفري 2017، على الساعة 14:00.

ضاع بعد ذلك كل أثر للأمير خالد، وترددت شائعات كثيرة عن اشتراكه في ثورة الريف بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي بالمغرب الكبير، غير أنه ما من وثائق رسمية تؤكد ذلك أو تنفيه[1].

وفاته:

أفاقت دمشق على خبر مباغث صباح يوم 9 جانفي 1936م، ومعلنا وفاة المجاهد الأمير خالد الهاشمي الجزائري، وأقيمت عليه الصلاة في مسجد بني أمية الكبير، وانتقل إلى[2] جوار ربه عن عمر يناهز الستين عاما، وشاع الخبر بسرعة في أقطار العالم الإسلامي، فصدرت الصحافة الجزائرية الإسلامية وهي تعلن الحداد العام في الجزائر "مقدمات الأمير خالد" وكتبت صحيفة الدفاع: «تبكي جزائر المسلمين اليوم في الأمير خالد فارسا ومجاهدا مضى، غير أن اسمه الخالد سيبقى مرتبطا ارتباطا وثيقا[3].

لم يشمل الحزن إخوانه من حزب الجزائر الفتاة فقط، فقد تأسف الجميع بالخسارة الفادحة لفقدانه، فمضى العلماء لتأبينه، واشترك الشيوعيون في مأتمه[4].

الجزائر المجاهدة ترتدي السواد حدادا على الأمير خالد ،ويقيم شعب الجزائر المجاهدة احتفالا تأبينا، يقف فيه الشاعر الجزائر المجاهد محمد العيد: ليلقي قصيدة في رثاء أخيه المجاهد (الخالد) بما قدمه لشعبه بعنوان "يا بلادا"[5]:

يا بلادًا، يخزي الكرام عليها *** ويعز الأسافر الأوغاد

يا بلادًا، يطوي الجميل وينسى *** العهد فيها، ويخلف الميعاد

يا بلادًا، لا يثبت الرأي في شيء *** عليها، لا يدوم الوداد

[1]– محمد بلعباس: الوجيز في تاريخ الجزائر الحديث، دار المعاوة الجزائر 2009، ص19.

[2]– محمد بلعباس: المرجع نفسه، ص19.

[3]– رابح لونيسي وآخرون: رجال لهم تاريخ، دار المعرفة، الجزائر 2010، ص 43.

[4]– بسام العسلي: قادة الجزائر...، مرجع سابق، ص167.

[5]– سليمة لكبير: المرجع السابق، ص 22.

يا بلادًا، يلقى الذبوغ بها الشؤم *** ويسعى في قتله الحساد

يا بلادًا، ما للزعامة فيها *** قوة أو لزعيمها اتحاد

لا تسومي آسادك الغلب ضمًا *** فمن الضيم تألم الآساد

اكتفاء في البرور مني يا أرض *** بشعر به يجيش الفؤاد

ذي معان، أبيها مستجيب *** وقواف عصيها منقاد

كل جهدي عليك قول مقف *** كل مالي يراعه مداد

إنا مهما بكات مني (إمرؤ *** القيس) وحب حماك مني (زياد)

لست أجدي عليك يا أرض *** ما يجدي عليك النجار والحداد

غير حي على البسيطة شعب *** ليس فيه صناعة ولا اقتصاد[1].

[1]– بسام العسلي: قادة الجزائر...، مرجع سابق، ص 204.

المبحث الثاني: الحياة الشخصية لعبد العزيز الثعالبي:

مولده ونشأته:

هو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمان الثعالبي، من عائلة جزائرية الأصل تنتمي إلى الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي[1]، دفين الجزائر ويتصل نسبه بآل البيت لأن جده الثاني والأربعين هو الحسين –رضي الله عنه– بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

وقد نزحت أسرته من الجزائر واستقرت في تونس، وقصة ذلك أن جده عبد الرحمان الثعالبي كان في قتال الفرنسيين حين غاروا على الجزائر سنة 1830م، وكان من زعماء حركة المقاومة، وبعد الاحتلال أراد المستعمر استمالته فعينه كبيرا لقضاة الشرع في الجزائر فرفض ثم أجبر على القبول فما كان منه إلا أن استأذن في السفر إلى تونس ورحل تاركا في مدينة بجاية بيته وأملاكه ترفعا واعتزازا عن أن يحمل للفرنسيين فتعلم منه عبد العزيز الثعالبي أعظم دروس، الوطنية بأوسع معانيها[3].

ولد عبد العزيز الثعالبي[4] في تونس العاصمة في 15 شعبان 1293 هـ.، المواقف لـ. 5 سبتمبر 1876 في عائلة عرفت بالعلم والتقوى فتربى في كنف والده على الدين والأخلاق[5]

---

[1]– عبد الرحمان الثعالبي: من علماء الجزائر خلال القرن 9هـ، ولد عام 786هـ، وتوفي 875هـ وله عدة مصنفات منها: الجوهر الحسان، النقاط الدرر، الدرر الفائق، العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة للمزيد ينظر: أبو القاسم محمد الحنفاوي: تعريف برجال السلف، ج1، الجزائر1991، ص 73.

[2]– يوسف مناصرية: الحزب الحر الدستوري التونسي (1919– 1934)، رسالة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، إشراف: أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، (1985– 1986)، ص 93.

[3]– أنور الجندي: عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1984، ص09.

[4]– عبد العزيز الثعالبي: سقوط الدولة الأموية وقيام دولة العباسة (132هـ/ 750هـ)، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت1995، ص 23.

[5]– للإشارة فقد اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاد الشيخ الثعالبي؛ فمنهم من يرجعه إلى سنة 1874 ينظر أنور الجندي: عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية (1874– 1944) دار الغرب الإسلامي 1984، ص 10 ومنهم من يرجعه إلى 1875 و1886، ينظر: مجاهد تركي: أعلام شرقية، دار الصناعة المصرية القاهرة، 1929، ص 148.

كان عبد العزيز الثعالبي سنة 1881م، في السنة السابعة صبيًا صغيرا عندما دخل الاستعمار الفرنسي تونس، فرأى أمه تبكي، فسألها عن السبب فقالت: "أما رأيت الفرنجة مروا من هنا؟ إنهم يحتلون تونس ولن يخرجوا منها إلا بالحرب يابني"[1].

طبعت هذه الحادثة حياته فأقسم طفلا أن ينتصر لوطنه، فبر باليمين، ووفى بالوعد والتزام بالعهد فكانت حياته جهادا مخلصا لله والوطن.

وقد تربى عبد العزيز الثعالبي في كنف والده "إبراهيم" على الدين والأخلاق الحميدة، وبعد حفظ القرآن وتعلم الكتابة في إحدى المدارس الابتدائية بتونس وهي مدرسة باب سويقة أدخله والده إلى جامع الزيتونة وعمره لا يتجاوز الرابعة عشر ليتعلم العلوم الدينية المختلفة وعلم الكلام والفلك والمنطق والرياضيات والنحو والصرف والأدب العربي، ومن الأساتذة الذين أخذ عنهم وتأثر بهم نجد الشيخ "سالم بوحاجب"[2] وكذلك "المكي بن عزوز"[3].

وكان الثعالبي مهتما بالمطالعة والدروس، وامتاز بنباهته على أقرانه، ولكنه فارق جامع الزيتونة قبل إتمام الدراسة والحصول على شهادة التطويع وهي الشهادة المتوجة للدراسة بالجامع، وتردد على المدرسة الخلدونية[4]، وكانت وجهته بعد ذلك أن خرج من تونس حيث عرف بكثرة رحلاته[5].

---

[1]– عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، تر: سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت لبنان1975، ص 05.

[2]– سالم بوحاجب: (1828– 1924) من أعلام عصره تخرج من جامع زيتونة ودرسا به، زار إيطاليا كما سافر إلى فرنسا واسطنبول كان من الداعين إلى إدخال العلوم الحديثة في برامج التعليم بالزيتونة كما كان من المعجبين بالشيخ محمد عبده تولى الفتوى بتونس سنة 1905 من آثاره: ديوان خطب وديوان شعر، ينظر: حمادي الساحلي: أعلام تونسيين,مرجع سابق.

[3]– الملكي بن عزوز: أحد شيوخ الزيتونة الثوريين من قادة الحركة الوطنية التونسية كون مجموعة من الشباب التونسي الثوري الذي استمر في مقاومة الاستعمار فقد توفي هذا الشيخ بعد نفيه إلى المشرق العربي، ينظر: الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة1830– 1956، ط2، دار المعارف سوسة، تونس، ص 30.

[4]– مدرسة الخلدونية: مدرسة تعاون على تأسيسها مجموعة من التونسيين على رأسهم البشير صفر الهدف منها إدخال الإصلاح على جامعة الزيتونة بلغ عدد روادها خمسة آلاف مطالع تأسست سنة 1896م وكان أول رئيس لها الأمير محمد القروي، ينظر: مسعودة مسعود بو الخضرة: الشيخ عبد العزيز الثعالبي ودوره في الإصلاح الإسلامي، ط1، المكتبة العصرية بيروت، 1995، ص 6.

[5]– يوسف مناصرية: مرجع سابق، ص 85.

رحلاته:

تعتبر الرحلات التي قام بها عبد العزيز الثعالبي محطة أساسية في حياته، حيث من خلال هاته الرحلات الطويلة التي جاب خلالها العديد من البلدان متنقلا بين المشرق والمغرب تعرف على الكثير من المعالم والأعلام، كما استطاع معرفة أوضاع البلاد الإسلامية عن قرب وتمكن من الوقوف على أسباب الضعف فيها.

وقد كانت أول رحلة للثعالبي سنة 1895م، حيث غادر تونس متوجها إلى الجزائر أرض الأجداد هاته الرحلة التي استمرت شهرين، اطلع فيها على أحوال الجزائريين ومر بأهم المدن الجزائرية: عناية، سطيف، سوق أهراس، قسنطينة ومدينة الجزائر عاصمة البلاد ثم عاد إلى تونس خلال نفس السنة حاول الثعالبي الخروج إلى مصر لكن الاحتلال منعه من ذلك فغادر تونس نحو ليبيا متنكرا وتوجه نحو طرابلس في شهر أوت 1896 عن طريق البحر وأقام بها مدة شهرين يحرر بعض المقالات وينشرها بجريدة "الشرقي" الطرابلسية، ثم غادر طرابلس بعدما أجبره واليها "سليمان نامق باشا" وتوجه إلى بنغازي، والتي أقام بها شهرا ثم قصد الأستانة عن طريق اليونان، وبقي بها مدة سنة، اطلع أثناءها على الأوضاع بمركز الخلافة الإسلامية والتقى بعلمائه وعلماء مصر والهند وناقش معهم قضايا الشرق المختلفة ومن بين الذين تعرف عليهم في هذه الرحلة "أبي الهدى أفندي الصيادي"[1] والذي عرض على الثعالبي منصبا عاليا في دائرة الوظيف العمومي لكن هذا الأخير رفض ذلك، وبعد مرور سنة رحل إلى مصر وأثناء ذلك كتب في صحفها المشهورة مثل: جريدة "المؤيد" ومجلة "الموسوعات" وكشف فيها عن الأموال السياسية والاجتماعية بتونس[2].

[1]– أبو الهدى الصيادي: (1849– 1909) من أشهر علماء عصره، تعلم في حلب وولي نقابة الأشراف فيها سكن في الأستانة اتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني الذي قلده مشيخة المشايخ وحظي عنده فكان من كبار ثقاته، وخدم زهاء ثلاثين سنة، نفي إلى جزيرة الأمراء "ريكبيو" بعد خلع سلطان وبقي فيها إلى أن توفي من مؤلفاته: ضوء الشمس في قوله صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس" ينظر: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ط1، مؤسسة رسالة، ج3، 1993، ص 241.

[2]– عبد العزيز الثعالبي: سقوط الدولة ...، مصدر سابق، ص 26.

وبقي الثعالبي بين السنوات (1898- 1902) يتردد بين الأستانة والقاهرة، مع زيارة بلدان إسلامية أخرى بين الحين والأخر فزار أناضوليا ،ومقدونيا، والعراق، وسوريا ،والسودان كما زار بلدانا أوروبية كالنمسا وإيطاليا، وكان خلال إقامته بمصر يحضر دروس الجامع الأزهر وخاصة المحاضرات الفلسفية واللغوية وتفسير القرآن والأحاديث النبوية ودرس النظم السياسية التي كان يجهلها وخالط الكتاب والباحثين ورجال الإصلاح المصريين وعلى رأسهم "محمد عبده"[1] ثم غادر مصر متوجها نحو الجزائر والمغرب مرورا بتونس عام 1902 واتصل بالوالي العام الفرنسي بالجزائر "جونار"[2] وعرض عليه فكرة إصدار جريدة ناطقة بالعربية بالمغرب الأقصى لكنه لم يتمكن من إنجاز هذا المشروع.

وعاد الثعالبي إلى تونس عام 1904م، ليقوم أثناءها بنشاط سياسي في إطار حركة الشباب التونسي إلى غاية 1912م، وبعدها نفي من طرف السلطات الفرنسية نحو فرنسا ومنها سافر إلى الأستانة ودخلها حوالي شهر نوفمبر 1912م، وتعرف خلالها على شخصيات عربية منها " الأمير فيصل" الذي أصبح بعد ذلك ملكا على العراق، وتعرف كذلك على الشاعر العراقي "معروف الرصافي"[3] وشهد هذا الأخير للثعالبي بأنه أعظم خطيبا عرفه القرن (القرن العشرين)[4].

[1]- يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 88.

[2]- جونار: شخصية سياسية فرنسية كان واليا عاما على الجزائر وحكمها ثلاث مرات متقطعة في الفترة الممتدة ما بين 1900 ونهاية الحرب العالمية الأولى، احترم الشريعة الإسلامية وفي نفس الوقت طبق سياسية قمعية من خلال إنشائه المحاكم الرادعية، وتجديده لقانون الأهالي، ينظر، إبراهيم مياسي: ارهاصات الحركة الوطنية (1900- 1914) مجلة مصادر، م، و، د، ب، ج، ت، الجزائر، العدد 06، مارس 2002، ص 32.

[3]- معروف الرصافي: (1875- 1945) شخصية أدبية عراقية، ولد ببغداد، ودرس اللغة العربية وتعمق فيها امتهن التدريس كان ينظم الشعر، ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ص 898.

[4]- محمد ايزير: عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره 1876- 1944م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، 2010- 2011، ص 43.

وعرضت عليه عدة مهام بعاصمة الخلافة العثمانية، كمديرية الأوقاف الحجاز ومنصب قاضي بيروت فرفضها، لكنه قبل مهمة المفتش العام للمكتبات التابعة للأوقاف مما جعله يستفيد من مطالعة كتبها النادرة، غير أنه لم يبق بها طويلا حيث تنازل عنها بعد شهرين، وغادر الأستانة في نهاية شهر ديسمبر 1912م متوجها نحو مصر، ثم غادرها في مطلع 1913م، إلى اليمن وزار العديد من مدنها[1].

لم يلبث أن عزم الرحيل إلى بلاد الهند والصين الشاسعة، فرحل بحرًا من عدن إلى جنوب شرق آسيا وزار عدة مدن أهمها "جاوة" و"سيام" و"شنغهاي" ثم أخذ طريقه إلى الهند وزار عاصمتها "دلهي"، ثم انتقل إلى صحراء الهند والبنجاب وبومباي ثم غادرها في نهاية شهر جويلية 1913م إلى مدينة عدن اليمنية، ورجع إلى مصر وحل بالقاهرة ولم يستقر بها طويلا ورحل نحو ايطاليا ومنها إلى مدينتي "طولون" و"مرسيليا" جنوب فرنسا وكانت الحكومة الفرنسية قد رفعت عنه القرار المتعلق بالنفي سنة 1913م فعاد الثعالبي إلى تونس عام 1914م، واستقر بها واقتصر عمله بها على اللقاءات السرية إذ كان العمل السياسي ممنوعا والصحافة معطلة من طرف سلطة الاحتلال الفرنسي نظرا لظروف الحرب العالمية الأولى (1914- 1918)[2].

وبعد الحرب العالمية الأولى سافر الثعالبي إلى فرنسا في 10 جويلية 1919م، ليطرح قضية الشعب التونسي ويجمع الرأي العام الفرنسي لتلبية المطالب التونسية[3].

وقد تم نفي عبد العزيز الثعالبي مرة أخرى عام 1923م، وذلك بعد أن عاد إلى تونس من فرنسا، وبعد نفيه من تونس توجه نحو إيطاليا أواخر 1923م، ومنها إلى اليونان ودخل مصر سنة 1924م، وأراد العودة إلى تونس مرة أخرى ولكن السلطات الفرنسية بتونس منعته من ذلك فعاد إلى مصر وزار الحجاز ثم توجه إلى الكويت عام 1925م، ثم رحل إلى العراق في السنة نفسها واستقر بعاصمتها بغداد إلى غاية 1930م، ثم عاد إلى مصر ومنها قصد الصين 1933م، لكنه رجع مرة أخرى إلى مصر 1934م، وفي عام 1936م غادرها

[1]- عبد العزيز الثعالبي: سقوط الدولة ...، مصدر لسابق ، ص 35.

[2]- أنور الجندي: مرجع سابق، ص 15.

[3]- أحمد القصاب: تاريخ تونس المعاصر (1881- 1956)، تر: حمادي الساحلي، ط1، ش- ت- ت، تونس 1986، ص 499.

إلى الهند على أن يرجع إلى تونس بعد أن أبلغته الإدارة الفرنسية أخيرا بأنها رخصت له بالعودة للبلاد.

فتنقل إلى مصر وحل بالقاهرة في أفريل 1937م، ثم توجه إلى مرسيليا بفرنسا في الصيف 1937م، ومنها عاد مباشرة إلى تونس[1] والتي استقر بها نهائيا إلى غاية وفاته 1944م[2].

نشاطه السياسي وأهم مؤلفاته:

كانت بداية نشاط الثعالبي بتونس من خلال الدعوة إلى الاصطلاح الديني والاجتماعي، حيث أسس عام 1895 جريدة "سبيل الرشاد"[3] وكانت إسلامية المنهج غير أن هذه الجريدة تعطلت بعد فترة وجيزة من صدورها كونها لم تلق رضا السلطة الاستعمارية الفرنسية[4]، وبعد تعطيل العمل الصحفي، واصل عمله من خلال نشره لكتاب روح التحرير في القرآن عام 1905 وهو الكتاب الذي ضمنه جنبا من أفكاره وآرائه خلال هذه المرحلة.

ثم انظم الثعالبي إلى رواد الصادقية والحاضرة والخلدونية والذين شكلوا حركة سياسية عرفت بحركة تونس الفتاة أو حركة الشباب التونسي بقيادة "علي باشا حامية" وكانت لها جريدة ناطقة بالفرنسية أسست عام 1907م وهي جريدة التونسي ومن خلالها عبرت هذه الحركة عن تطلعاتها ومطالبها، وعمل الثعالبي على إصدار ملحق عربي لهذه الجريدة بعنوان "الإتحاد الإسلامي" عام 1909 وكانت إيديولوجية هذه الحركة في إطار الجامعة الإسلامية، فعمل الثعالبي على تدعيم هذه المسألة وخاصة من خلال مناهضة للاستعمار الإيصالي لليبيا[5].

وفي إطار هذه الحركة برز الثعالبي على رأس أحداث مهمة مناهضة للاستعمار في تونس وهي أحداث "الزلاج" عام 1911م والترامواي 1912، فالحدث الأول ارتبط بتسجيل

---

[1]– أنور الجندي: مرجع سابق، ص29.

[2]– توفي الثعالبي في أول أكتوبر 1944م، بعد أن أصابه مرض العضال مع بداية الحرب العالمية الثانية، ينظر: صالح خرفي: عبد العزيز الثعالبي من أثاره وأخباره في المشرق والمغرب، ص 12.

[3]– جريدة سبيل الرشاد: جريدة علمية، أدبية، سياسية، تاريخية صدر العدد الأول منها في تونس في 16 ديسمبر 1895 وتوقفت عن صدور في 1 نوفمبر 1896 للمزيد ينظر: صالح الخرفي: مرجع سابق، ص 37.

[4]– الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 33.

[5]– خليفة الشاطر وآخرون: تونس عبر التاريخ– الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3، تونس 2005، ص 76.

مقبرة الزلاج ضمن دائرة القانون الفرنسي في إطار مصادرة الأراضي التونسية والأوقاف والحدث الثاني يتعلق بمقتل طفل تونسي من طرف سائق إيطالي بواسطة عرابة الترامواي فكان ذلك من دوافع مقاطعة التونسيين ركوب هذه العربات[1].

فكان موقف سلطة الاحتلال الفرنسي أن حملت زعماء حركة الشباب التونسي المسؤولية وأقرت نفيهم عام 1912م، حيث نفي الثعالبي إلى فرنسا وانتقل إلى بلدان عربية أخرى إلى أن عاد إلى تونس 1914م، واقتصر عمله على النشاط السري، نظر لظروف الحرب العالمية الثانية (1914- 1918) والتي منعت معها السلطة الاستعمارية العمل السياسي[2].

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية 1918 عقد الثعالبي اجتماعا مع النخبة التونسية وتم إقرار إيفاد أحمد السقا إلى باريس ليقدم عريضة باسم التونسيين إلى المؤتمرين بفرساي يطالبون فيها بتطبيق مبادئ الرئيس ويلسون الأربعة عشر، والتحق الثعالبي بأحمد السقاني باريس من أجل التعريف بالقضية التونسية أمام الرأي الفرنسي وأثناء ذلك أصدر كتاب تونس الشهيدة ونشره في باريس مع أوائل عام 1920م.

وقد أحرز ذلك الكتاب رواجا سواء في فرنسا أو تونس نظرا لما تضمنه من معطيات وأرقام حول الواقع الاستعماري في تونس وهو الكتاب الذي قال بشأنه " الحبيب بورقيبة": «... فاطلعت على محتواه- تونس الشهيدة- من أرقام وما تضمنه من معلومات حول الأموات والفقر، وشعرت بالإهانة الناتجة عن الاستعمار»[3].

وبذلك يكون الثعالبي بهذا العمل قد ساهم في نمو الوعي السياسي ومهد بذلك لظهور أول حزب سياسي منظم وهو الحزب الدستوري التونسي، وكان للثعالبي دورا بارزا في تأسيس هذا الحزب عام 1920 بمعية النخبة التونسية وكانت أهم مطالبه هي تكوين مجلس

[1]- شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، تر: المنجي سليم وآخرون ، ش و ن ت، الجزائر 1976، ص 39.

[2]- يوسف مناصرية: مرجع سابق، ص 97.

[3]- طرفاوي أحمد: عبد العزيز الثعالبي وبعض قضايا فكره من خلال مؤلفاته 1875- 1944 رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011- 2012، ص 26.

نيابي يتكون من أعضاء تونسيين وفرنسيين منتخبين بالاقتراح العام وتشكيل حكومة تونسية تكون مسؤولة أمام ذلك المجلس وحرية الصحافة وتأسيس الجمعيات[1].

وبعد تأسيس الحزب كان نشاط الثعالبي في باريس يقوم على أساس توجيهه بهدف التعريف بالقضية التونسية ومطالب الشعب التونسي ومكنه من الاتصال بممثلي الشعب الفرنسي وعلى رأسهم الحزب الاشتراكي والجمعيات والهيئات السياسية الفرنسية كجمعية حقوق الإنسان وجمعية التعليم[2].

وقد تم إلقاء القبض على الثعالبي يوم 28 جويلية 1920[3] بأمر من رئيس المجلس الحربي بتونس بتهمة "المس بأمن الدولة" ونقل إلى تونس في 22 أوت من نفس السنة وزج به في السجن العسكري وبعد إطلاق سراحه 1921 واصل الثعالبي نشاطه على رأس الحزب معتمدا على تهيئة الرأي العام لصالح مطالب حزب من خلال الصحافة، فكان رد فعل سلطة الاحتلال هو التضييق على الصحافة التونسية فأصدرت قرارا وزاريا يقضي بتعطيلها في نوفمبر 1921، كما أنها عملت على إضعاف الحزب من خلال تشجيع النخبة المعتدلة بقيادة "حسن قلاتي" و"فرحات ابن عياد" على الانشقاق عن الحزب فأسس الأول الحزب الاصطلاحي، وأسس الثاني الحزب الدستوري المستقل، وأمام هذا الوضع اضطر الثعالبي إلى الخروج من تونس في صيف 1923م، متجها نحو أوروبا ولم يسمح له بالعودة إلى وطنه إلى غاية 1937م.

وكانت عودة الثعالبي إلى تونس في ظل انشقاق الحزب الدستوري، فعمل من أجل تكريس وحدة الحركة الوطنية، من خلال الجهود التي بذلها في سبيل التوفيق بين المنشقين

[1]– علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب الأقصى، ط6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب 2003، ص 52.

[2]– علي محجوبي: جذور الحركة الوطنية التونسية (1904– 1934)، تر: عبد الحميد الشابي، بيت حكمة، تونس 1999، ص 216.

[3]– عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة...، مصدر سابق ، ص 301.

في الحزب لكنه لم يوفق في ذلك، فتراجع دوره السياسي، غير أن عمله الاصطلاحي ظل مستمرا حيث تفرغ لكتابة وتأليف[1].

أما على المستوى الإقليمي فقد كان نشاط الثعالبي حافلا بأعمال، ففي الفترة الممتدة من (1917م-1920م)، كان الثعالبي مع الشيخ صالح بن يحيى يعملان ضمن التشكيلات الفدائية السرية التي كان الشيخ الثعالبي يكونها، ومكلف بالتنسيق مع هؤلاء المغاربة المهاجرين قد أسس ضمن التشكيلات جمعية تونس السرية، وسعى إلى تكوين فروع لها في أنحاء المغرب العربي، وكان من فروعها الجمعية السرية في وادي "ميزاب " و"القرارة " أنشاها الشيخ صالح بن يحي في عام 1915م، وكان رئيسها الحاج بكير العنق ، ومن أعضائها الشيخ عمر بن يحي[2].

ويبدوا أن الأمير خالد قد عمل في هذه الجمعية السرية إلى جانب الشيخ الثعالبي حيث كانت ترمي إلى التزام المنخرط فيها لتنفيذ كل ما تأمره به التشكيلة من قلب نظام الحكم وتخريب المؤسسات، وتحمل مسؤولية القتل والاغتيال إلى أخر ما يعرفه الثوار[3].

وفي عام 1917م قام الأمير خالد بخطوة جريئة وذلك حين شارك مع إخوانه التونسيين في مؤتمر رابطة حقوق الإنسان بباريس، وطالب بان يكون للجزائريين والتونسيين تمثيل في البرلمان الفرنسي وفي مجلس الشيوخ، وذلك بدون تخليهم عن هويتهم العربية الإسلامية، وفي نفس الإطار يذهب بن العقون إلى أن الأمير خالد كتب رسالة إلى إخوانه التونسيين في شهر فيفري 1920 م..."وبعد إن اخبرهم بعدم جدوى شروط ويلسن ..حثهم على الاعتماد على النفس بالكفاح والمثابرة والجهاد لزمن طويل ..واقتراح عليهم إنشاء

[1]- غيلان سمير طه التكريتي: الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1918- 1939، مجلة آداب، الفراهيدي، العدد (13)، كانون الأول 2012، ص 190.

[2] - خير الدين شترة : إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900- 1939، دار البصائر، الجزائر2009، ص121.

[3] - حكيم بن الشيخ: المرجع السابق، ص123.

حركة سياسية على إن تسمى الحزب الحر الدستوري"، وان صحت هذه الرواية فان ذلك يعد مساهمة سياسية كبرى وقفزة نوعية وبادرة متميزة من طرف الأمير خالد.

ولقد تحدث الشيخ إبراهيم اطفيش العضو البارز في الحزب الحر الدستوري أن الشيخ الثعالبي أرسله ثلاث مرات إلى الأمير خالد في الجزائر ليعرض عليه اتحاد حزبه وحزب الدستور وإتباع خطة واحدة في الجهاد، وكان الشيخ الثعالبي أكثر حكمة، فاجتمع في الجزائر العاصمة بالأمير خالد فأبى هذا الأخير إلا أن تطبق طريقته الصارمة[1] .

وتتأكد لنا علاقة الأمير خالد بالحزب الدستوري، من خلال اطلاعه على أحوال الحركة الوطنية التونسية، وغيرته على الوطنيين التونسيين، من خلال رسالة توبيخ التي وجهها الأمير إلى المحامي حسن مقلاتي بعد انشقاقه عن الحزب الدستوري وتكوينه للحزب الإصلاحي سنة1921 م، فقد جاء في هذه الرسالة التي نشرت بجريدة الإقدام بتاريخ 09 محرم 1341هـ- سبتمبر1922 م، كلها لوم وعتاب لشخص حسن مقلاتي، ومما جاء فيها : " لقد تجاوزت والله وقاحتك الحد، وما جزاؤك وسياستك المخادعة إلا الصد عنك والبعد، أتريد أن تدير شؤون التونسيين وأنت لست منهم؟ أم هذا جزاء أولئك الكرام الذين أكرموا مثواك؟ لقد انكشف عنك اليوم الستر، وأرتكبك العار، وبؤت بغضب من التونسيين ومقت من الجزائريين، خيب الله سعيك ووقى الله التونسيين من مكرك وجعل كيدك في نحرك.."

وتذكر وثيقة فرنسية أن العوامل المتجمعة السابقة تبين العلاقة الوثيقة المتوازية والمتشابهة بين الأهداف التونسية والجزائرية خلال هذه الفترة، مما يوحي بوجود نوع من الاتفاق المضمر، حيث تبين أن مطالبها تبدأ على مراحل [2].

المرحلة الأولى تبدأ بالحصول على المساواة في التجنيس، وحالما يحقق هذا المطلب تطالب هذه الأحزاب الوطنية في المرحلة الثانية بمنح الأهالي المناصب الإدارية، وهذه عقيدة

[1] - خير الدين شترة : مرجع سابق، ص123.

[2] - المرجع نفسه ، ص 124.

الشبان التونسيين والجزائريين، أما المرحلة الثالثة فتاتي فكرة المطالبة بالاستقلال الكامل، فقد سبق للامي ران طالب بتقرير مصير الجزائر سنة 1919م، وفي نفس الوقت طالب الثعالبي لتونس بالاستقلال، غير أن كلا الرجلين وفي الوقت نفسه تقريبا تراجع مرحليا عن مبدأ المطالبة بالاستقلال اثر خيبة الأمل في مؤتمر الصلح بفرساي، ونظرا لظروف ما بعد الحرب اتجه الأمير خالد إلى المطالبة بإصلاحات سياسية واجتماعية في إطار المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية، وكذلك فعل الثعالبي في برنامج الحزب الدستوري، ومن جهة أخرى تؤكد الوثائق الفرنسية حسب حكيم بن الشيخ أن العلاقات كانت موجودة بين هؤلاء الجزائريين المناضلين في تيار الأمير خالد والعناصر الجزائرية الموجودة والمتعاطفة مع الحركة الدستورية وقد تجلى ذلك من خلال احتجاجات جريدة الإقدام عما قامت به السلطات الفرنسية من منع للصحف التونسية من الدخول إلى الجزائر، وكانت جريدة الإقدام قد ذكرت أن فوز اليساريين بالحكم في فرنسا سمح للأمير بالعودة لفرنسا، وهناك أتيح له الاتصال بالوطنيين الجزائريين والمراكشيين والتونسيين فغرس فيهم فكرة العمل المشترك بين أجزاء المغرب، واشترك الأمير في أول مؤتمر مغربي من نوعه انعقد في باريس في07 ديسمبر924 م [1].

وبالعودة إلى إنتاج الثعالبي الفكري فقد كان له العديد من الدراسات والأبحاث الإسلامية وخاصة في العقائد والفقه والمعاملات والفلسفة الإسلامية وهي: كتاب خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس وكتاب مسألة المنبوذين في الهند، كتاب محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، كتاب خلافة "الصديق والفاروق" رضي الله عنهما، كتاب الرسالة المحمدية، كتاب معجزة محمد رسول الله "صل الله عليه وسلم" وكتاب محاضرات في التفكير الإسلامي والفلسفة، كما كان له مجموعة أخرى من الأعمال المتنوعة "سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية" وكان قد أصدرها "بمجلة الفجر" في إحدى عشر حلقة، حيث نشرت الحلقة الأولى في العدد المؤرخ في 01 فيفري 1921م وصدرت الحلقة الأخيرة في صيف

[1]- حكيم بن الشيخ : المرجع السابق ، ص 125.

1922[1]، ومن أثار الثعالبي مجموعة من الوثائق في شكل رسائل وتقارير حول رحلته إلى اليمن 1924 ومهمته السياسية في الحجاز عام 1926، في سبيل تحقيق الوحدة اليمنية من جهة وتحقيق المصالحة بين السلطات نجد والحجاز عبد العزيز ابن السعود "وإمام اليمن" يحي بن محمد حميد الدين" من جهة أخرى وجمعت أخرى وجمعت هذه الوثائق في كتاب بعنوان "الرحلة اليمنية"[2].

كما شرع في تأليف كتاب حول منطقة المغرب الإسلامي، بعنوان "تاريخ شمال إفريقيا" ونشرت الفصول الأولى منه عام 1939، تحت عنوان "خلاصة من تاريخ القديم" توفي الثعالبي وترك مؤلفه على شكل مخطوط إلى أن طبع في كتابين حمل الأول عنوان "مقالات في التاريخ القديم" وشمل الفصول المرتبطة بتاريخ الشمال الإفريقي قبل الفتح الإسلامي، أما الثاني فكان عنوانه "تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية أي من 27 هـ./ 647م إلى 296 هـ./ 909م[3].

وفاته:

وبقي الإمام الثعالبي مجاهدا من أجل الحرية تونس إلى أن توفي في الأول من أكتوبر سنة 1944[4] عن عمر يناهز الثمانين عاما قبل أن يرى رايات الحرية، والاستقلال ترفرف على أرض تونس الخضراء، فبكاه شعب تونس الصامدة، وعاهده شبابها على المضي في الجهاد المستعمر، فبكاه العالم العربي والإسلامي الذي جاب أقطاره من الأندلس غربا إلى تخوم الصين شرقاً، ونحاه السياسيون، والعلماء، والقادة، والأدباء والشعراء في صحف مصر، وسوريا، العراق وفلسطين وبقية بلاد العالم العربي، أما في تونس فقد كان مثواه في القلوب والحنايا يزرع الحلم ويجدد الأمل، ويوقظ الإيمان، ويبشر بالمستقبل لوطن حر مستقل يدين بالإسلام عقيدة وعروبة ونسب، ولعل جملة واحدة من الخطاب الذي ألقاه السيد "محمد

[1]– عبد العزيز الثعالبي: سقوط الدولة ...، مصدر سابق ، ص 7.

[2]– عبد العزيز الثعالبي: الرحلة اليمنية 12 أغسطس– 17 أكتوبر 1924، تق: حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997، ص 5.

[3]– عبد العزيز الثعالبي: سقوط الدولة ... ، مصدر سابق، ص 7.

[4]– المرجع نفسه ، ص 07.

الحبيب شلبي" أمام الجثمان الطاهر للشيخ الثعالبي في 02 أكتوبر 1944 بمقبرة "الزلاج" تلخص ترجمة الشيخ الثعالبي حيث يقول: «... فلقد كنت تمثل آمال أمة».

رحم الله عبد العزيز الثعالبي، وضاعف له أجر ما قدم لخدمة دينه، ووطنه وإعلاء كلمة الله وجعل الجنة مثواه[1].

[1]– صالح الخرفي: عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1995، ص 457.

الفصل الثاني

الوطنية في فكر الأمير خالد وعبد العزيز الثعالبي

المبحث الأول: عوامل تكوين الوطنية عند الرجلين

المبحث الثاني: الوطنية عند الرجلين

اختلفت تعريفات الوطنية عند الباحثين باختلاف المناهج الفكرية لديهم، فمنهم من جعلها عقيدة يوالي عليها ويعادي، ومنهم من جعلها تعبيرا عاطفيا وجدانيا يندرج داخل إطار العقيدة الإسلامية ويتفاعل معها، وفي هذا الصدد سوف نعرض مجموعة من التعريفات لمفهوم الوطنية ونبدأ بديننا الإسلامي الحنيف ،حيث تطرقت شريعتنا إلى مفهوم الوطنية، قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وأرزق أهله من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وأجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾[2]، وهنا حكى الله عن خليله إبراهيم عليه السلام هذا الدعاء بالأمن والسلام ورغد العيش، لهذا البلد الحرام، ويتضح منه ما يفيض به قلب إبراهيم عليه السلام من حبه لمستقر عبادته وموطن أهله.

وقد تطور مفهوم الوطنية من خلال تلك الصيحات المنادية بشعار "الوطن" والطارحة لفكرة الوطنية فجاء تعريفها على لسان مصطفى كامل فيقول: 'إن الوطنية هي أشرف الروابط للأفراد والأساس المتين الذي تبنى عليه الدول القومية والممالك الشامخة، وكل ما ترونه في أوروبا من آثار العمران والمدينة ما هو إلا ثمار الوطنية، أصبح اليوم الوطن المصري ينتظر منكم... الحرية والاستقلال ... وأن لا شرق لها بغير الوطنية والعمل لإعلاء شأن الوطن وبنيه"، ونجد هنا مصطفى كامل يتحدث عن الوطن والوطنية حديثا عاطفيا محاولا أن يغزو قلوب المصريين بهذا الحب ليحل الوطن منها محل الدين وذلك بقوله: "ولكي أرى أن الدين والوطنية توأمان متلازمان"[3].

كما ظهرت دعوة جديدة للوطنية بالمعنى الأوروبي، ولكن هذه الدعوة كانت مختلطة بالدين في أذهان كثير من المفكرين، كما يبدو من خلال كلمات البارودي وهو في منفاه وكلمات محمد عبده[4].

---

[1]– سورة البقرة، الآية (125).

[2]– سورة إبراهيم، الآية (34).

[3]– محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر– من الثورة العربية إلى قيام الحرب العالمية الأولى،ط7، مؤسسة الرسالة،ج 1،بيروت لبنان1984، ص 82.

[4]– المرجع نفسه، ص 75.

إذ نجد هذا الأخير يعرف الوطنية بقوله: «إنما الوطنية أن نلخص المحبة للوطن إخلاصا ينبعث عنه السعي بكامل الجهد في التماس ما يعود عليه بالتقدم والنجاح، وليس الأثر إلى ما أفاد فائدة حقيقية توجب اعتدالا في التصورات أو حسنا من الأخلاق والعادات أو صحته في الأبدان أو غرة للوطن أو ارتفاعا لمقامه فذلك ما يدعوه العقلاء وطنية»[1].

فالوطنية مفهوم يعني حب الوطن والإخلاص له والذود عنه، وقد أصبح مفهوم الوطنية يحظى برواج وشيوع كبيرين بين الباحثين والسياسيين ومن إليهم، حيث أصبحت تنسحب عليه جملة من الإصلاحات، ويتحمل العديد من التأويلات، حتى غدًا مصطلحا عاما، غير محدد تحديدا علميا. ولعل من جناية السياسة عليه، أنه فقد معالمه المعرفية الصرفة، وغدا مقولة طبيعية، تقال على أنحاء عدة دون طائل للتحديدات التي عادة ما يتقيد بها الباحث الأكاديمي الدقيق[2].

غير أن كثيرا من الباحثين يرى أن تحديد مفهوم جامع مانع لمصطلح الوطنية يعد من الصعوبة بمكان فجاء على لسان الدكتور أحمد المالكي حين قال: «... تبرز الوطنية Nationaline كأحد المصطلحات الأكثر تعقيدا، من حيث التعريف، والأعمق صعوبة من زاوية الإدراك والتمثل، وذلك لارتباطها (الوطنية) بكل من الإيديولوجيا، السياسية الأخلاق والقيم ... ولتقاطعها مع أكثر من جذور اشتقاق ... قد يتعذر منهجيا، تناول مختلف التعريفات، وهي كثيرة التي حددت دلالات مفهوم الوطنية»[3].

ومن خلال هذه التعريفات نخلص إلى أن الوطنية هي تعبير قومي يعني حب الشخص وإخلاصه لوطنه، ويشمل ذلك الانتماء إلى الأرض والناس، والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ في خدمة الوطن ،وانطلاقا من هذا المفهوم وجب أن نتساءل كيف تبلورت الوطنية في فكر الأمير خالد والثعالبي؟

[1]– عبد الحليم مرجي: قضايا تحرير المغرب الغربي عند محمد البشير الإبراهيمي وعلال الفاسي 1919– 1962م، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماجستير، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2014– 1015، ص 77.

[2]– الصادق بوحوش: الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية مقاربة في دراسة الخلفية، الجزائر، دار غرناطة للنشر والتوزيع، 2009، ص 32.

[3]– أمحمد مالكي: مرجع سابق، ص 24.

المبحث الأول: عوامل تكوين الوطنية عند الرجلين.

أولا: عوامل تشكيل الوطنية عند الأمير خالد:

- نسبه الشريف:

هو خالد بن الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر[1]، رجل من كرام الرجال شريف في الأصل، كريم في نفسه مبجل في قومه، نشأ وترعرع في حجر جده الأمير عبد القادر في بيت العلم والإيمان[2].

زعيم الجزائر الأول (السياسي)، سليل الطهارة والشرف، ورجل العروبة والإسلام في أرض الوطن، فقد ورث الوطنية والذود عن الحمى عن أب و جد لأنه حفيد الأمير عبد القادر، دب وشب في أحصان عائلته فتشبع بالروح الوطنية المعادية للاستعمار وعملائه، وأراد أن يواصل الطريق الذي بدأه جده الأمير عبد القادر[3].

كان يستمد نفوذه وشهرته من تاريخ الأسرة التي استسلمت لفرنسا أخيرا وإمارة جاهدت الفرنسيين[4].

ينتسب إلى الأمير عبد القادر بطل الجزائر معتمدا على سمعته ونفوذه، كان يحرص دائما على ارتداء الزي العربي ويحتفظ بلحيته وشواربه، فكان كثير الشبه بجده عبد القادر، وقد قال عنه أحد رؤسائه في الجيش في تقرير عادي «هذا العربي المثقف، ولكنه يصر على العيش عربيا»[5].

---

[1]- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة، ج1، الجزائر، 2009، ص 299.

[2]- مبارك بن الميلي: الأمير خالد والأمير عبد القادر، جريدة البصائر، العدد (141- 181)، دار الغرب الإسلامي، الجزائر2005، ص 27.

[3]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية...، ج1، مرجع لسابق، ص 61.

[4]- المرجع نفسه، ص 63.

[5]- عبد الرحمن بن العقون: الكفاح القومي والسياسي (1920- 1936)، ط3، منشورات السائحي، ج1، الجزائر2010 ، ص 106.

وقد حاول دون جدوى أن يوحد بين حركة المقاومة في الأرياف التي سارت نحو الزوال منذ عام 1871 وبين وطنيته التي لا تزال في طور النشوء.لأنه كان يفتخر بانتسابه لنسل قائد عربي[1]، وبانتمائه الأسري للأمير عبد القادر، خلقت له شعبية في المدن والأرياف أقوى أحفاد الأمير عبد القادر وأبرزهم شخصية[2].

ومن خلال سيرة جده الحميدة عند الجزائريين وقبوله الجماهيري قرر الأمير خالد مايلي:

– الالتزام بالقيم والأهداف التي ضحى في سبيلها الأمير عبد القادر والتي يسير عليها هو أيضا باعتبار أنها تشكل القاعدة الثابتة والحلبة للجهاد ضد الحملة الصليبية الجديدة، وليس من الغريب أن يردد الأمير في كل مناسبة على أسماع مواطنيه العبارة التالية: «لا تنسوا أن آباءكم قد هبوا للنضال الأول، إشارة من جدي الكريم»[3].

وعند هذه النقطة، نقطة الجهاد والنضال، يلتقي الجد والحفيد في قضية الدفاع عن الإسلام والمسلمين، في الجزائر المجاهدة خاصة، وقد تكون ملاحظة هذا الخط المشترك واضحة من خلال المواقف المعروفة من ملحمة متطاولة تتجاوز في مضمونها وأهدافها كل الحدود[4].

ذلك هو مشعل النور الذي استمر الأمير عبد القادر في حملة وهو في سجنه ، ثم تعاقب الأبناء والأحفاد في رفع هذا المشعل حتى جاء الأمير خالد فقام بأداء دوره مدافعا عن الإسلام والمسلمين[5].

اشتهر خالد بلقب الأمير، وهو لقب شرفي فضله على ألقاب أخرى كما فضله باقي أحفاد الأمير عبد القادر، فهم حريصون على لقب الأمير يتصدر أسماءهم تأكيدا وتمسكا بنسبهم الجزائري[1].

---

[1]– محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية (1919– 1939)، تر: محمد بن البار، دار الأمة، ج1، الجزائر2011، ص 126.

[2]– خير الدين شترة: مرجع سابق، ص121.

[3]– محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، سحب للطباعة الشعبية، ج2، الجزائر 2007، ص 24.

[4]– مبارك بن الميلي: المرجع السابق، ص 27.

[5]– بسام العسلي: قادة الجزائر ...، مرجع سابق، ص 492.

ويذكر أحمد بهلول أن طريقة التحاق الأمير بالمدرسة لم يكن عن غير قصد وإنما كان وفق إستراتيجية، كان هذا عندما اجتمعت عليه العائلة سنة 1882، بأحد مساجد دمشق، وبعد أداء الصلوات والدعوات، كلف الجد عبد القادر حفيده على مواصلة نضاله وكفاحه ضد الغزاة الفرنسيين، بينما لم يكن خالد يتعدى السابعة من عمره[2].

وقد حث الأمير عبد القادر ابنه الهاشمي إلى السعي لدى السلطات العسكرية الفرنسية لقبول خالد بالمؤسسة، وقد عرف عنه أنه كثير الحنان لحفيده وشديد الرعاية له، كما لم يكن هدف الجد الزج بحفيده بين يدي الفرنسيين وإنما ذلك على إستراتيجية به وحنكة، وقد كانت الحاجة تقتضي اتخاذ واكتساب تدابير وتقنيات لإدارة الحروب مستقبلا[3].

ويذكر السيد أحمد بلهول في مذكراته، أنه سئل عن انطباعاته من قبل مدير المدرسة حول الرتبة العسكرية الجديدة رد الأمير قائلا: «كذلك لابد لهذه الرتبة أن تتشرف لأن من يحملها حفيد الأمير عبد القادر وفي ذلك إشارة إلى فرنسا بأن مقاومة جده مازالت مستمرة في شخصه[4].

ولولا تواصل النضال والكفاح ضد المستعمر لانقطعت الصلة بين أمير ثوري في القرن الماضي، وحفيد مطلع القرن الحالي، لذلك كان دائما يذكر بماضيه وماضي أجداده، ثم أن الكفاح الذي واصله الأمير إنما هو تسلسل منطقي لنضال جده عبد القادر، وكان يقول: «إن أجدادنا قد أضرموها حرباً حامية الوطيس مدى خمسة عشر عاما وأزيد ولم يكن النصر حليفهم ولكن تقدير بطولاتهم وشجاعتهم وشهامتهم حق ثابت، وأنا حفيد الأمير عبد القادر». بدليل استعماله للغة تتسم بالعزة والألفة معبرا عن اعتزازه بانتمائه للعنصر العربي[5].

وعند ملاحظتنا للغة خطابه تتراء لنا العزة بجنسه العربي و شهامته ،وحبه لوطنه ،كما كان يذكر دائما بمواقف جده الأمير عبد القادر مع الجنرال بيجو في صفة تحد وبحكمة

---

[1]– بسام العسلي: المرجع السابق، ص 492.

[2]– محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 127.

[3]– قناة إقرأ: محمد موسى الشريف، شريط وثائقي بعنوان: الأمير خالد الهاشمي والصراع السياسي، السعودية، شوهد يوم 6 فيفري 2017، على الساعة 14:20.

[4]– محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 31.

[5]– حكيم بن الشيخ: المرجع السابق، ص62 .

المهتدي إلى الطريق الصحيح، ثم قال: «ولا تنسوا كفاح عبد القادر ولا تنسوا أن أجدادكم قد استجابوا كلهم لنداء جدي لمقاومة الاحتلال»[1].

مشاركته في الحرب العالمية الأولى:

عند نشوء الحرب العالمية الأولى، تطوع الأمير خالد في 02 أوت 1914 على رأس كوكبة من الصباحية[2] للدفاع عن فرنسا، والعمل في الجيش الفرنسي ثم شارك كإخوانه الجزائريين لما اندلعت الحرب العالمية الأولى، بصفته ضابطا، وكان ترقية "العربي الجزائري" في الجيش الفرنسي إلى درجة ضابط شيئا غير معروف أبداً، وأظهر في هذه الحرب على الجبهة البلجيكية" مقدرة قتالية فائقة وأحرز انتصارات با هرة، ومما أثار غيظ بعض الضباط الفرنسيين[3].

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى وخلال عمليات بطولية من المجندين العرب سمع القبطان خالد من الوعود الفرنسية وحتى من الحلفاء، ما جعله يمثل حيوية وأملا، لكن فرنسا ارتدت عن وعودها عقب الانتصار في الحرب، وتمخضت وعودها عن إصلاحات هزيلة والتي رغم أنها كانت دون آمال خالدة, ورغبة الشعب الجزائري فهي كذلك مشروطة بالتخلي عن قوانين الشريعة الإسلامية، من هنا رأى خالد أن الحقوق لا تعطى ولكنها تؤخذ بالكفاح والمثابرة[4].

بعد الحرب العالمية الأولى غادر الأمير نهائيا سنة 1919 صفوف الجيش الفرنسي برتبة نقيب وكان الشعب الجزائري في تلك الأوقات يعيش ظروفا قاسية جراء القوانين التعسفية، مما دفعه لتكريس حياته للنضال السياسي قولا وكتابة من أجل استرجاع تلك

---

[1]– عبد الرحمن بن العقون: مرجع سابق، ص 114.

[2]- الصبايحية: وتسمى في بعض أنحاء الجزائر السياسية هي فرق عسكرية خيالة، أسستها فرنسا في معسكراتها السابقة وبالخصوص شمال أفريقيا كجيش عميل للمحتل الفرنسي، وساهم بالقسط الوفير في احتلال الجزائر بل تعدى الحدود، وشارك في سقوط تونس والمغرب بيد فرنسا، انظر: عبد الوهاب بن خليف: مرجع سابق، ص 27.

[3]– ابراهيم مياسي: مرجع سابق، ص 216.

[4]– عبد الرحمن بن العقون: مرجع سابق، ص87.

الحقوق المهضومة، فاتخذ من تضحيات الشعب الجزائري إبان الحرب العالمية الأولى وسيلة لمطالبة الحكومة الفرنسية باحترام وعودها اتجاه الشعب الجزائري[1].

بعد مشاركته في الحرب العالمية الأولى سارت عدوى الغيرة على الوطن في دمه، وحب الموت في سبيله، فهبت لديه النشوة لمصارعة الاستعمار، فزاد إقباله على العلم والصلاح، فأسس حركة سياسية اسمها "كتلة المنتخبين الجزائيين" فعزم على الكفاح والجهاد، بعد ما اختلط في الحرب العالمية الأولى بالأمم الأوروبية الراقية وشاهد أساليب الحياة الجديدة، وفنون الحرب الحديثة، وعندما جرب مع إخوانه المسلمين الجهاد في المعارك ، زادت ثقته بنفسه وعزم عن النضال والإصلاح[2].

من هنا فقد كان للحرب العالمية الأولى تأثيرًا ملموسا في تفتيح الذهنية الوطنية الجزائرية وترقية المستوى الفكري والسياسي للشعب[3]، ولما أعلن عن المبادئه التحريرية في عالم تشكل وفدا من الضباط الجزائريين برئاسة الأمير خالد وسافر إلى فرنسا لعرض قضية الجزائر على مؤتمر الصلح1919م لتطبيق المبادئ الجديدة على الشعب الجزائري والخروج من الوضعية الشعبية التي وصلت إليها بسبب الاستعمار[4].

[1]– عمار عمورة: المرجع السابق، ص 300.

[2]– محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 24.

[3]– خير الدين شترة: المرجع السابق، ص122.

[4]– قناة اقرأ: محمد موسى الشريف، المرجع السابق.

تأثره بالحركات الإصلاحية في المشرق العربي:

تأثر الأمير خالد وبعض المثقفين الجزائريين بأفكار الحركة الإصلاحية التي ظهرت في المشرق الإسلامي، الحركة الإصلاحية التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني في أواخر القرن الماضي، وبشر بها من بعدهما كل من محمد عبده، وعبد الرحمان الكواكبي ورشيد رضا في مطلع هذا القرن[1].

وقد كان لهؤلاء أبلغ الأثر في نفس الأمير خالد إذ انبهر بهم، والتي سربت إلى الجزائر عبر الكتب والجرائد العربية، رغم الجدار الحديدي الذي حاول الاستعمار أن يضربه بين الجزائر وبين باقي الأقطار العربية والإسلامية لعزل الشعب ومنعه، من الاتصال بإخوانه في تلك الأقطار الشقيقة[2].

يعد الأمير خالد المتشبع بالثقافتين العربية والفرنسية والواقع تحت تأثير مزدوج تأثير ثورة «الفتيان الأتراك» حاملي لواء العصرنة وتأثير النهضة العربية التي يتزعمها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبدو بيقظة الحركات الوطنية المنحرفة غالبا ببصمة وقبضة الاستعمار[3].

لكن لنعد من جديد إلى حركة "الفتيان الجزائريين" تمثل هذه التسمية تعبيرا جزائري لتنظيم عصري تمتد أصوله إلى ثورة "الفتيان الأتراك" للسنوات الأولى للقرن العشرين، وكذا التأثر بالحركات الأخرى التي ظهرت في تونس تحت تسمية تحمل الرمز «الفتيان التونسيون»[4].

[1]– معمر العايب: مؤتمر طنجة المغاربي: دراسة تحليلية وتقييمية، دار الحكمة للنشر، الجزائر– 2010، ص 22.

[2]– المرجع نفسه، ص 23.

[3]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية...، ج2، المرجع السابق، ص 62.

[4]– محمد تقية: الثورة الجزائرية المصدر الرمز والمال، تر: محمد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر 2010، ص 41.

ثانيا: عوامل تشكل الوطنية عند عبد العزيز الثعالبي:

عائلته:

إن المتتبع لفكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي يجده ينصب حول محاور ثلاثة: الإسلام، العروبة، والوطن، هذه المحاور التي سخر لها قلمه وفكره، وروحه، قصد تجسيد مشروعه النهضوي التحرري لتخليص تونس وحتى الأقطار المغربية والعربية من ويلات الاستعمار وتعسفاته ومحاولاته الرامية لطمس معالم شخصية الأمة التونسية الوطنية والقومية بكل ملامحها، فما كان منه سوى البحث في الواقع التونسي لاستكشافه ودراسته وتقديم جميع الطرق والوسائل التي تؤدي من جهة إلى التصدي للمستعمر ومن جهة أخرى استعادة الشخصية الوطنية لتونس من خلال المحافظة على هويتها الوطنية وقد شهدت البيئة الزمنية التي عاشها الثعالبي (1876م- 1944م) أحداث ووقائع كثيرة كان لها الأثر البالغ على الشعب التونسي المستعمر، والشيخ الثعالبي الذي يعد واحد من أبناء هذا الشعب والذي عايش هذا الظرف التاريخي الحرج فقد نشأ في عائلة عرفت بالعلم والتقوى فتربى في كنف والده على الدين والأخلاق، ونشأ تحت رعايته التربوية والفكرية، وأخذ عليه مبادئ التسامح والكرامة.

تأثر الثعالبي منذ نشأته وهو صغير بمظاهر حزت في نفسه، وعملت على تكوين شخصيته فقد رأى أثار رصاص في صدر جده[1] حينما كان هذا الأخير يحدثه عن الاستعمار وكذلك حدثه عن هجرته وهجرة غيره من الجزائريين، وفي هذا الصدد يقول: "... وكنت في طريق قريب من بيتنا وأنا صغير حينما دخل الجيش الفرنساوي، فرأيت الكآبة تجثم على وجوه التونسيين فاستغربت ذلك وكنت أجهل السبب وذهبت إلى جدي فوجدته يبكي لأول مرة فقلت مندهشا: ولم البكاء يا جدي هل ضربك أحد، فقال نعم إن البلاء انصب علينا، فيجب أن نرحل من هذه البلاد التي تعيش فيها ولكني قد بلغت من الكبر عتيا لا أستطيع أن أرحل وإني خائف وجل أن يصيروا في المستقبل فرنسويين وكشف فأراني محل رصاص

[1]- صالح الخرفي: مرجع سابق، ص 393.

في صدره فقلت: سأضرب من ضربك، هذا الإلهام الذي أودع في نفسي ما انقطع بل استمر حتى نشأت وكبرت فوجدت أصدقائي أقراني يشعرون شعوري فاتفقنا على المقاومة "[1].

بالإضافة إلى حادثة أمه والتي ذكرنها في الفصل الأول، هاته المرحلة الخطيرة التي شهدها الثعالبي من حياة العالم الإسلامي، حيث شهد دخول الاحتلال الفرنساوي لتونس (وهو في سن السابعة) وعاش يدرس ويراجع ذلك الحدث الخطير الذي وقع في الجزائر سنة 1830م، هذا الحدث الذي يتصل بفكرة المقاومة العامة التي بدأها الأمير عبد القادر، وتلك المحاولة التي قام بها محمد علي السنوسي والذي طوق العالم الإسلامي على إثر هذا الاحتلال باحثا عن إجابة صحيحة لهذا التحدي الخطير الذي كانت هذه المنطقة تواجهه، فقد كان الثعالبي مهتما منذ نعومة أظفاره بالتفكير في أمراض العالم الإسلامي المشتت الشمل، والبحث عن وسائل علاجها، الأمر الذي كان يثير شعور والديه ذلك أن الوسط يؤثر لا محالة في حياة عظماء الرجال[2].

تأثره بجامع الزيتونة ورجال الإصلاح:

بالإضافة لعائلة الثعالبي يعتبر جامع الزيتونة من أهم المقومات المكونة لشخصية الثعالبي حيث التحق به وعمره لا يتجاوز الرابعة عشر وقضى فيه سبع سنوات وتخرج سنة 1896م حاملا شهادة التطويع[3] هاته المنارة العلمية التي تهل منها القيم الإسلامية السامية والعلوم المختلفة على يد العديد من شيوخه[4]، حيث تأثر الثعالبي منذ شبابه الباكر بالأفكار الإصلاحية التي كان ينادي بها زعيما النهضة الفكرية في تونس حينئذ: الشيخ سالم بوحاجب والأستاذ البشير صفر، كما تعرف عن طريق الصحافة المصرية التي كان مولعا بمطالعتها، وعلى مواقف زعماء الاصلاح الديني في الشرق: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، حيث يقول الأستاذ الحبيب الجنحاني في هذا الصدد: " إنه خطيب من الطراز الأول أخذ عن جمال الدين الأفغاني حماية بيضة الإسلام، ومن عبد الرحمان الكواكبي السياحة

[1]– أنور الجندي: مرجع سابق، ص 13.

[2]– عبد العزيز الثعالبي: سقوط الدولة ...، المصدر السابق ، ص 26.

[3]– شهادة التطويع: هي الشهادة التي يتوج بها الطالب بعد تخرجه من جامع الزيتونة إلى غاية سنة 1933م، حيث تم تغيير الشهادة إلى ما يعرف بشهادة التحصيل.

[4]– مسعودة مسعود بو الخضرة: مرجع سابق، ص 21.

ودراسة شؤون العرب المسلمين عن كثب، ولكن مصباحه كان مصباح ابن خلدون وقد جمع الثعالبي بين التنظيم القومي العملي، والقدرة العجيبة على الحديث الشهي الذي يحول به الحقائق الفلسفية إلى طعام ذهني"[1].

هؤلاء الذين كانوا يدعون إلى النهوض بالأمة الإسلامية، وتأسيس الحياة الاجتماعية والدينية على أسس أصول الإسلام الأولى، وإقامة الدليل على أن الإسلام في شكله الصحيح لا يتنافى مع المدنية الحديثة، ولا يعيق التطور والوصول إلى ما وصلت إليه الأمم المتمدنة الأخرى من تقدم ورقي.

الحرب العالمية الأولى:

وقد عايش الشيخ الثعالبي الحرب العالمية الأولى ووقف على انعكاساتها على الشعوب المستعمرة مثل بلدان المغرب العربي وباقي الشعوب العربية الأخرى، وكان الشيخ الثعالبي يتميز بفكر ناضج وعلم فياض، وذا بصيرة عالية وعقل متفتح، فنظر إلى هذه السياسة الاستعمارية كالخبير المتمرس فثار لوطنيته من خلال كشف وفضح نوايا فرنسا الاستعمارية أمام الشعب التونسي وما يفعل به وأمام الرأي العام العالمي والفرنسي وذلك بقيامه بنشر كتاب "تونس الشهيدة"، وإن دفعه أيضا لتساؤل عن إدعاءات الفرنسيين بالحفاظ على الحريات قائلا: "لقد ظننا عندما احتلت القطعات الفرنسية أرضنا أن هذه الحريات والحقوق التي تطلق عليها اليوم صفة الطبيعية سوف تتأكد وتتوسع لكننا رأينا أن سلسلة من الإجراءات المعدة سلفا تمحوها بيسر وبساطة، كأنها ضد الإنجيل الجديد، وتحول عدم وجود الضمانة للفرد إلى نظام دولة..."[2].

إن القوات الاستعمارية الجائرة والتي استغلت الشعب التونسي كخزائن بشري في الحرب العالمية الأولى، حيث حارب هذا الأخير إلى جانبها، ونصرها ودافع عنها ولكنها دائما تخذله وتتنكر لوعودها، والدليل على ذلك حينما حارب التونسيون وباقي شعوب المغرب العربي في صفها ضد دول المحور بقيادة ألمانيا، ولما حققت بهم بشائر النصر بمئات الألوف من أبناء أدارت لهم ظهرها وفي هذا شأن يقول الشيخ الثعالبي: «خلال

[1]– سلسة آفاق: الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وتحديد الفكر الديني: وزارة الشؤون الدينية، ط1، تونس، 1993، ص 34.

[2]– خير الدين شترة: مرجع سابق، ص 49.

الحرب الهائلة التي كدرت صفو العالم المتمدن أخيرا، قدم شعبنا الذي لا يكاد يعد مليوني نسمة، تضحية تفوق حجمه، وذلك عن طريق الخمسة وستين ألف مقاتل الذين بعث بهم إلى الحرب ومنهم 45.000 قد قتلوا أو أصيبوا بجروح وعن طريق الثلاثين ألف عامل- ومنهم عدة ألاف ليس لعائلاتهم سند سواهم – الذين ذهبوا إلى فرنسا للترفيع من الإنتاج بالمعامل والحقول وعن طريق مساهمته بكل طاقاته الإنتاجية في تموين الحلفاء[1].

وقد كان من واجب فرنسا أن تمنحنا حريتنا، وذلك لسببين اثنين أولهما: تلك التضحيات التي ضحينا بها، وثانيهما: تلك الوعود الرسمية التي قدمتها لنا»[2].

ونتيجة لهذه التضحيات الجسام التي قدمها الشعب التونسي لفرنسا والنصر الغالي الذي أهداه لها على حسب ألمانيا، لم ترد أي جميل بل خذلته وصنعت مجدها به، بل كانت مكافأتها المزيد من التسلط والسياسة التعسفية حيث بادرت إلى تثبيت وجودها، وتقوية هيمنتها، يقول الثعالبي: «نرى الحكومة الفرنسية قد هيأت لنا أقسى مصير وذلك بمواصلة تنفيذ مخطط لإغتصابات جديدة واستغلال استعماري منظم تنظيما أحكم لاسيما أن القوات العسكرية الفرنسية قد تدعمت وأننا قد خرجنا من المعركة مرهقين منهكين فما أن أبرمت الهدنة، حتى ظهر لنا المخطط العدواني الهائل الذي هيئ لنا بعنوان المكافأة، وقد كانت لحمة هذا المخطط تتمثل في توسيع نطاق النظام الاستعماري إلى أقصى حد ممكن وذلك يجلب الفرنسيين مهما كانت أخلاقيتهم ومهما كانت المهنة التي يحترفونها وبكل الوسائل التي هي في متناول الحومة وهي وسائل هائلة حيث أنها تشمل على كل أموالنا العمومية وطاقاتنا الاقتصادية مجتمعة»[3].

وفي هذا الوقت بالذات واصل الثعالبي العمل مستغلا الوضع الناشئ عن الأحداث العالمية وتأثيرها على العقول، حيث اعتمد على مبادئ "ويلسن" لعرض وضعية بلاده ومطالبه على السياسيين الفرنسيين ويقول ذلك: «وقد كانت لنا ثقة لا تتزعزع في المصير الطيب الذي كان من المفروض أن يهيئه لنا انتصار الحق والعدل الأمميين، وذلك بواسطة

[1]- عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة...،المصدر السابق ، ص 279.

[2]- المصدر نفسه، ص 279.

[3]- المصدر نفسه، ص 280.

مبدأ حرية تقرير مصير الشعوب الذي كان قد وعد به أكثر رجال الدولة أهلية أمام الله وأمام الإنسانية المتمدنة»[1].

وقد كان الثعالبي يهدف من إنشاء الحزب ومن مفوضاته مع مؤتمر الصلح والحكومة الفرنسية إنما يحاول أن يتخذ من الأساليب العصرية وسيلة إلى تحقيق الغاية العاجلة بإقامة نظام دستوري يسمح لهذا الشعب أن يحكم نفسه بنفسه وفق الأسس التي يسير عليها العالم الغربي ولم يكن الشيخ الثعالبي يرى أن هذه الخطة هي الخطة المثلى، وإنما قد اضطر إلى مسايرة التيار العام على النحو الذي كان سائدا في مصر وغيرها، ولكن الثعالبي في الحقيقة لم يكن زعيما سياسيا بهذا المعنى الحزبي الضيق، ولكنه كان مصلحا اجتماعيا على مفهوم الإسلام وله في ذلك عبارته الواضحة «إن هذه خطة ارتضها إخواننا تحايلا في السياسة أما أنا فقد كنت أفضل الصراحة ومع ذلك فإن الاستقلال هو غايتنا جميعا»[2].

وقد نقل حسن قلاتي كما يلي المحادثة الأخيرة التي جرت بينه وبين الثعالبي في شهر جويلية 1919: «زرت الثعالبي قبل أيام من صدفره إلى باريس فتحدثنا طويلا وحدثني بالخصوص حول أفكار ويلسن فطرحت عليه السؤال التالي:

أتظن أن أفكار ويلسن يمكن تطبيقها في المستعمرات، ولاسيما المستعمرات الفرنسية بشمال أفريقيا؟ فأجابني قائلا: أنا لست صبياً ولكني أعتزم الإعتماد على تلك المبادئ لعرض وضعيتنا ومطالبنا على السياسيين الفرنسيين.

فقلت له: في هذه الحالة لا يسعني إلا أن أوافقك على ذلك»[3]

ولم تكتفي السلطات الاستعمارية بذلك، بل عمدت إلى محو الشخصية الوطنية من خلال حرص الاستعمار على تفويض دعائمها ومحو معالم الدين واللغة «فقد حكم على اللغة العربية، بدون نقاش، باعتبارها عملا من عوامل المحافظة على الشخصية التونسية وتنميتها في الشعب التونسي وبالتالي جعل «الاستعمار» البلاد من الصعوبة بمكان. وعلى هذا الأساس فقد تعرض التعليم الوطني منذ سنة 1881م، إلى أقصى ضروب الاضطهاد ذلك أن

[1]– المصدر نفسه، ص 279.

[2]– أنو الجندي: المرجع السابق، ص 20.

[3]– عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة...، المصدر السابق ، ص332.

الحكومة عوض أن تساعد على تطوير المؤسسات القائمة بالبلاد عمدت إلى ضربها في الصميم وهي إذا لم تستطيع إلغاء تلك المؤسسات بدون قيد ولا شرط حيث تعذر عليها ذلك نظرا لما أبداه التونيسيون من مقاومة مستميتة وقد شعروا بأن مجتمعهم وحضارتهم، ويفوضان من الأساس فإنها قد تجاهلت وجود معاهد للتعليم العربي ،ولم تلتفت إليها المعارضة كل محاولة للقيام بإصلاحات جديدة من شأنها أن تبعث فيها الحياة من جديد»[1].

وقد حاول الاستعمار تحقيق المدمرات الثلاث من أجل القضاء على الشخصية الوطنية التونسية والمتمثلة في الفرنسية والتنصير وصولا إلى الإدماج ،وفي هذا يقول الثعالبي: «... إن الرغبة في إدماج التونسي وابتلاعه هي محاولة خيالية تشبه محاولة إدماج الفرنسي من طرف الياباني مثلا، وكما أن محاولة الإدماج لا يمكن أن يتحقق عن طريق العنف فهي لا تتحقق عن طريق التغلغل السياسي ولو كان تحت قناع التورية «السليمة»»[2]، فلقد كان الثعالبي عقبة في سبيل المخطط الخطير الذي كانت فرنسا بصدد عقده بعد الحرب العالمية الأولى، ألا وهو محاولة التجنيس والتي أرادت إدخال مسلمي تونس في الجنسية الفرنسية، وقد كان على قمة هاته المحاولة الخطيرة عقد المؤتمر الأفخارستي[3] الذي عقد 1930، في تونس إحتفالا بمرور خمسين سنة على معاهدة باردو، ومع ذلك فقد هيأت تونس لمقاومة حركة التجنيس والمؤتمر الأفخارستي مقاومة شديدة ولقد كان مفهوم الثعالبي للعمل الوطني الإسلامي فالعمل لتحرير البلاد من المستعمر جزء من رسالة الدعوة الإسلامية إلى الحرية والقيام بنهج الإسلام في بناء المجتمع[4].

ولقد كشف الثعالبي للعالم الإسلامي عن طريق الصحافة العربية مؤامرة التجنيس في تونس ،حين شن حملاته المتوالية في الصحف وغيرها حيث يقول: «ليس التجنيس إلا حلقة من سلسلة طويلة تقدمتها حلقات السياسية التقليدية التي تجري عليها أوروبا للقضاء على

[1]– عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة...، المصدر السابق، ص 64.

[2]– المصدر نفسه، ص 284.

[3]– المؤتمر الأفخارستي: انعقد بتونس في ماي 1930، وهو مؤتمر كنائسي عالمي نظمته الكنيسة للدلالة على أن تونس بلاد المسيحية، ومثل ذلك استفزاز للتونسيين خاصة وأن السلطة الإستعمارية والكنيسة ضمت إلى جانبها شيخ الإسلام ومفتي الديار التونسية في الهيأة الشرفية للمؤتمر، ينظر: علي المحجوبي: الحركة الوطنية التونسية، مرجع سابق ، ص 88.

[4]– أنور الجندي: المرجع السابق، ص 40.

الكيان الإسلامي وفي الطليعة فرنسا فهي تريد اختصار الوقت وإنتهاز الفرص في سياستها الإفريقية حتى تتمكن في بضع عشر سنة من عمل ما لم تستطعه الدول الأخرى في مئات السنين ويعتقد الفرنسيون أن أقطار شمال أفريقيا كانت قبل الإسلام نصرانية خاضعة للكنيسة الكاثوليكية، ولما جاء الإسلام عربها وجعلها أمة مسلمة متممة للوحدة الإسلامية العامة في أقل من قرن، فكيف يعجز عن مثل ذلك في تحويل هذه البلاد إلى النصرانية في وقت أقل مما اقتضاه الإسلام في التحويل[1].

[1]– أنور الجندي: المرجع نفسه، ص 41.

المبحث الثاني: الوطنية في فكر الرجلين.

أولا: مفهوم الوطنية عند الأمير:

دفاعه عن الدين الإسلامي:

كان الأمير خالد وطنيا صميما و مسلما مخلصا، رباه والده تربية دينية قوية وحفظه القرآن الكريم، وعلمه العلوم العربية والدينية فبرع فيها، وكان الأمير شديد التمسك بعقيدته، يقيم علنا شعائر العبادة الإسلامية ويؤم المجندين الجزائريين في الصلاة[1].

حتى أنه خلال خدمته العسكرية كان يرفض ارتداء البذلة العسكرية الفرنسية، أثناء العطل، لأنه لا يريد الظهور بها أمام إخوانه في الدين[2].

فرفع صوته في الأمة يدعو إلى الإصلاح والنهضة، فحثها على التمسك بالدين وعلى العلم والأخوة الإسلامية والاتحاد، وعلى كل ما يرجع بالخير على المسلمين، وكان أينما جلس في مقهى أو حديقة عامة أو مسجد، إلا وتسرع الجماهير إليه، فيخطبهم ويلهبهم بروحه الدينية القوية وبإخلاصه لدينه ووطنه، وإذا وصل وقت الصلاة في مكان ما من تلك الأماكن العامة صلى بهم جماعة[3].

ولغيرته عن الإسلام كان يثور لأقل إهانة يلحقها ذوو الحقد الصليبي والعنصرية بمقدسات الوطن والدين فعلى سبيل المثال، كتب الصحافي الفرنسي مقالا سنة 1934، تحامل فيه على الرسول "صلى الله عليه وسلم " وعلى أزواجه رضي الله عنهن فوجه إليه الأمير برقية شديدة اللهجة يذكر له فيها أنه مسلم غيور على دينه وأنه من سلالة ذالك النبي العظيم، ويقول له أن يترك الخيار له بين اثنين: إما الاعتراف علنا بذنبه والاعتذار عنه وإما المنازلة بالسلاح، فأجابه الصحافي واسمه "بيرمارييل" برسالة اعتذار[4].

---

[1]– سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830– 1962)، ط2، دار الأمل، ج2، الجزائر2004، ص 40.

[2]– المرجع نفسه، ص 42.

[3]– بن يوسف بن خدة: المرجع السابق، ص36.

[4]– محمد صالح الصديق: المرجع السابق، ص 234.

و لما أعطت فرنسا بعض الحقوق للجزائريين بقرار 4 فيفري 1919 واشترطت التنازل عن قوانين الشريعة الإسلامية الخاصة، رفض خالد ومن تبعه هذه الحقوق فقرر خالد وجماعته إنشاء الأخوة الجزائر في 23 جانفي 1922[1].

وعندما قرر أن يترشح في قائمة إسلامية في الانتخابات ذكر في تصريح له "أن المسلم الحقيقي لا يجوز له أن ينتخب على فرنسي"، وتكلمت الصحافة الأوروبية أنذاك عن دعاية خالد الدينية المتطرفة والتي هي ضد فرنسا، وقال سعد الله أن جريدة "صدى الجزائر" كتبت عن الحالة مستشفة في كتابتها خطرا منه «خطر الشعب الإسلامي» الذي هو في طريق «التفريغ» والذي لا ينتظر إلا وقوع شرارة لكي يصبح جمرًا يتقد[2].

وفي النهاية حصلت قائمة خالد على 940 صوتا في أعلى مستوى والقائمة المضادة لابن تامي إلا على 392 صوتا في أعلى مستوى، وانتحرت إذن قائمة حزب الشخصية الإسلامية انتصارا ساحقا[3].

وكان خالد يرى أن وظيفة منتخبة تسمح لأولئك الذي وضع الشعب فيهم ثقته بالدفاع عن مصالح المسلمين[4]، وبهذا الصدد نرجع ونستحضر شهادة المؤرخ روبرت آجروند حين قال: «لقد وجد الجزائريون في إيمانهم واعتقاداتهم بالإسلام مأوى لهم اختلاف مشاربهم وفلسفتهم الخاصة، لابد لكل مؤرخ أن يسجل بأن مقاومة هذا الشعب مصدرها ومنطلقها الإسلام وللإسلام فقط»[5].

---

[1]– عبد الرحمن بن العقون: المرجع السابق، ص 88.

[2]– المرجع نفسه، ص 91.

[3]- أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية...،ج2 ، مرجع سابق، ص 42.

[4]– محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 113.

[5]– Ageron (c.r): les algériens musulmans et la France (1871– 1919), paris, édition P.U.F, tome: II, 1968– PP. 1242– 1244.

- من خلال المحاضرات والعرائض:

وفي أواخر سنة 1913، قام الأمير خالد بجولة في باريس ليشرح إلى الرأي العام الفرنسي الظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها المسلمون في الجزائر، وطرح من خلال محاضراته برنامج حركة "الجزائر الفتاة" دافع عنه بكبرياء ولكن بطريقة دبلوماسية[1].

ومما قاله في هذا الشأن " نحن أثناء عرق له أمجاد، وله عظمته، وهو ليس بالعرق الأدنى، غير أنه يعاني في هذه المرحلة من قصور كبير في التقديم، وهو يرفض أن يزج نفسه على طرق المستقبل التي يفتحونها أمامه، ولكنه لن يستمر في رفضه هذا"[2]

كما أوضح الأمير أيضا حرمان المسلمين من فرص التعليم وقهرهم بالأنظمة الاستثنائية التي فرضت عليهم، وأنهى محاضراته بقوله "افتحوا أمامنا أبواب العلم، واعملوا على مساعدتنا قدر ما تستطيعون في أيام السلم وشاركونا في رفاهكم وعدالتكم وعندئذ سنقف إلى جانبكم في ساعات الخطر"[3]

استقبل الليبراليون الفرنسيون هذا الطرح بكثير من التأييد بحيث علقت إحدى الصحف الباريسية على هذا الحدث بما يلي: "... لقد نظرت باريس إليه (الأمير خالد) بعيون إمرأة خاضعة لتأثيره ..."[4].

وحينما رجع خالد إلى الجزائر، بادر بتأسيس الإتحاد الفرنسي- الجزائر ليطالب بالبرنامج التالي:

- استخدام اليد العاملة الجزائرية في فرنسا.
- رفع الضغط الذي يمارسه النظام عن المواطنين.
- إجراءات مثيل صحيح ونزيه للمواطنين.[5]

---

[1]- قناة الجزائرية الثالثة: المرجع السابق.

[2]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 80.

[3]- بسام العسلي: قادة الجزائر...، المرجع السابق، ص 492.

[4]- ابراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 16.

[5]- المرجع نفسه، ص 27.

لكن نشوب الحرب العالمية الأولى أوقف هذا النشاط.

وأثناء انعقاد مؤتمر فرساي سنة 1919م تقدم الأمير خالد بعريضة مطالب إلى الرئيس الأمريكي ويلسون ، يطالب فيها بمنح شعب الجزائر المسلم حق تقرير مصيره بنفسه.

ثم بين في هذه العريضة فضاعة وظلم الاستعمار، ورغم ذلك فإن الشعب الجزائري قد قدم ضريبة الدم وأن مئات الآلاف قد سقطوا في مختلف ميادين القتال محاربين رغم أنوفهم ضد الشعوب لا مطمح لهم فيه، لهذا فإن التصريح الرسمي "لا يجبر شعب من الشعوب على العيش تحت سيادة لا يرضى بها"[1].

واعتمد الأمير في هذه الوثيقة على كل الأدلة التي توضح تعسف الحكم الفرنسي في الجزائر، واستعمل كل الوسائل لتبرير مطالبه وتحقيق هدفه المنشود، فأنكر المظالم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي سلطتها فرنسا على الشعب الجزائري.

لكن خاب أمله في تحقيق آماله في نيل الاستقلال الجزائر عن طريق عصبة الأمم معتمدا في ذلك على مبادئ ولسون[2].

- جريدة الإقدام:

أسس الأمير خالد بتاريخ 10 سبتمبر 1920م، جريدة اختار لها عنوان «الإقدام» يصدرها باللغتين (العربية والفرنسية) وكان يدافع من خلالها على مشروعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والمطالبة بالمساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين الجزائريين والمستوطنون الأوروبيين المحتلين للجزائر والتي كان يشغل فيها منصب رئيس تحرير للطبعة العربية[3].

[1]- محمد مشاطي: مسار مناظل، تر: زينب قبي،، منشورات الشهاب ،الجزائر 2010، ص 20.

[2]- يوسف مناصرية: الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919- 1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1988، ص 51.

[3]- بشير كاشة الفرحي :مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر، 1830- 1962،الجزائر 2007، ص 104.

كانت جريدة الإقدام سلاح خالد المفضل، وكانت هذه الجريدة تمثل له ثلاث سنوات من الكفاح من أجل القضية الجزائرية، والدفاع عن مصالح المسلمين، فقد لعبت الجريدة دورا كبيرا في فضح تعسف الإدارة، وكان خالد يهاجم بضراوة لاسيما القادة الأهالي «الذين باعوا أنفسهم للإدارة»[1].

وينتمي معظم القادة الأهالي الذين هاجمتهم جريدة الإقدام إلى عائلات كانت قد حاربت الأمير عبد القادر، وكانت لخالد وأصدقائه الشجاعة في فضح تصرفات الموظفين السامين[2].

حاول من خلال الإقدام التصدي للإدارة الاستعمارية وعملائها الجزائريين، وحارب العنصرين وأنصار التجنس بالجنسية الفرنسية دون مراعاة الأحوال الشخصية، والتي كان يتزعمها ابن التهامي وجماعته، كما نبذ التفرقة ودعا للوحدة الوطنية بين الجزائريين[3].

ذلك أن الأمير كان يطالب جهرًا أمام الملأ وفي جريدته "الإقدام" إجراء تمثيل الجزائريين في المجالس الفرنسية التشريعية والتنفيذية مع منحهم حقوق المواطنين الفرنسيين ذاتها بدون أي تعارض أو تغيير في أحوال المسلمين الشخصية وهو بذلك يعارض سياسة الاندماج ويطالب بالمساواة[4].

وكانت الإقدام حساسة جدًا لمصير الناس البسطاء مثل الفلاحين والعمل البطالي، وكان ذلك انشغالا جديدًا في الصحافة الإسلامية، واهتمت أيضا بمشكلة التجنيد فاضحة الجرائد الأوروبية والمنتخبين المعمرين الذين كانوا يطالبون بإلغائه[5].

برنامج الأمير خالد الإصلاحي:

[1]- محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص130.

[2]– عمار عمورة: مرجع سابق، ص 301.

[3]– يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1830– 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر2007، ص 79.

[4]– يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 79.

[5]– محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص131.

من أجل وصول الأمير خالد إلى تحقيق هدفه ، وضع برنامجًا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، تطور مع الزمن وكانت المرحلة الأولى من تطبيق هذا البرنامج، تقع بين سنوات 1919م إلى 1921م، ويمكننا أن نلخص المرحلة الثانية في خطابه أمام الرئيس الفرنسي ميليرآن[1] في 20 أفريل 1922م، والمرحلة الثالثة نستنتجها من الرسالة التي وجهها إلى الرئيس الفرنسي هيريو" سنة 1924[2].

مطالب الأمير خالد العشرة:

1- إلغاء سائر القوانين الزجرية والاستثنائية والمحاكم المختصة بالجزائريين والرجوع إلى القوانين العادية.

2- إعطاء حق الانتخاب للمسلمين الجزائريين لتكون لهم في مجلس الأمة الفرنسي ومجلس الشيوخ الفرنسي نيابة الفرنسيين القاطنين في الجزائر.

3- المساواة التامة في الحقوق مع الفرنسيين في المسائل العسكرية.

4- الاعتراف للجزائريين بالحق في الوصول إلى كل الدرجات و الوظائف العامة غير متقيدين إلا بشرط الكفاءة فقط.

5- تطبيق قانون التعليم الإجباري على سائر أبناء الجزائريين تطبيقا شاملا مع إعطاء الحرية للتعليم الحر العربي.

6- تطبيق قانون فصل الدين عن الدولة بالنسبة للدين الإسلامي [3].

7- حرية الصحافة والخطابة والجمعيات.

8- إعلان العفو العام عن المسجونين السياسي.

---

[1]- ألكسندر ميليران: رجل دولة فرنسي ولد سنة 1859، أصبح محامي سنة 1981، بباريس، ثم اشتغل مع كليمونصون بالقضاء نائب راديكالي منذ 1885، ثم أصبح نائب إشتراكي مستقل ما بين 1889- 1893.انظر: بسام العسلي: الأمير خالد الهاشمي: مرجع سابق، ص 143.

[2]- يوسف مناصرية:الاتجاه الثوري...، المرجع السابق، ص 51.

[3] -صالح فركوس :المرجع السابق ،ص 230.

9- تنفيذ القوانين الاجتماعية وقوانين حرية العمل على المسلمين الجزائريين.

10- الحرية التامة للعمال الجزائريين في السفر إلى فرنسا بدون أية قيود.

هذه هي المطالب التي كانت برنامج الأمير خالد السياسي، وعنها كان يناضل بالقول والكتابة في جريدة الأقدام[1].

- رد فعل فرنسا ضده:

بالرغم من الخدمات العظمى التي قدمها النقيب خالد في الجيش الفرنسي ورغم دفاعه عن الوطن الفرنسي كأحد أبنائه حتى النصر، فإن نشاطه السياسي ومطالبه الشرعية لشعبه جعلته عدو الفرنسيين اللدود[2].

فرغم فوزه في الانتخابات، سارع خصومه ومعهم الأوروبيين بالرد عليه واصفين إياه بـ."الوطني" المعادي لفرنسا، وارتاع المستوطنون للنجاح الذي حققه الأمير لدى الشعب فأظهروا له ولحركته العداء وقد رأت الإدارة الاستعمارية إن هذا النجاح يعد تجربة خطيرة ينبغي إفشالها في مهدها، فشكلت وفدًا من جماعة النخبة الاندماجية ترأسه "ابن التهامي"، وأرسلتهم إلى باريس ليطلبوا من الحكومة الفرنسية أن توقف تيار الأمير خالد بحجة أنه يتآمر ضد السلطات الفرنسية، وأنه يستفز نفوذه الديني لإثارة التعصب الإسلامي ضد الفرنسيين، وكانت نتيجة تلك المؤامرات بين المستعمرات والمواليين لهم إلغاء الانتخابات 1919[3].

فتعرضت حركة الشباب الجزائري منذ نشأتها لهجمات المستوطنين المتطرفين الذين يتهمونها بالوطنية حينا وبالوحدة العربية والإسلامية حينا آخر، بهدف تشويه صورتها لدى

[1]- محفوظ قداش: للأمير خالد ...، المرجع السابق، ص 198.

[2]- عبد القادر جغلول: الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر: تر: سليم قسطون، ط1، دار الحداثة، لبنان، 1984، ص 213.

[3]- سعيد بورنان: المرجع السابق، ص 42.

الرأي العام الفرنسي...، وكذلك تعرضت للمضايقة من طرف إدارة الاحتلال رغم اعتدال برنامجها وسعت إلى تحطيمها بشتى الوسائل[1].

وعند خطابة عام 1922، أمام رئيس الجمهورية الفرنسية "ميليران" في الجزائر نادى بالمساواة أمام الأهالي المسلمين والأوروبيين، فوجد الكولون الفرصة المناسبة لهم، ليبلغوا في دعايتهم ضده، وذالك بالضغط عليه وإلصاق التهم به[2].

لم تنظر الإدارة الاستعمارية المدعومة بصحافة الكولون في الجزائر إلى المكاسب السياسية للأمير خالد بعين الرضا، فقامت بكيل الاتهامات له بالتعصب الديني، والانتماء للشيوعية والجامعة الإسلامية والقومية العربية[3].

في شهر مارس 1923، ركزت صحافة الدوائر الاستعمارية على اتهام الأمير خالد بالعمالة لموسكو ولقب بـ. "الأمير الأحمر" وكان مما قيل بهذا الشأن: هذا الأمير الذي تموله فرنسا ليقود بالتعاون مع البولشفيك في موسكو حملة، هدفها اشعال نار الثورة، وذبح الفرنسيين، وكذالك هذا السيد العظيم المسلم الذي يسير، وهو يضع يدا بيد مع الحزب الشيوعي في الجزائر ويلتقط اليهود في البلد ويجمع الناقمين من الموظفين ويحشدهم جميعا في حزب وطني جزائري للعمل ضد فرنسا»[4].

ومن هنا بدأت الحملة الشعواء ضد الأمير من أجل التخلي عن مواقفه أو ينسحب من الميدان، فعلا بسبب هذه المضايقات بدأ الأمير ينسحب من المجال السياسي ويتنازل عن حقه في الانتخابات بمصلحة منافسيه عبد النور تامزالي، وامتنع حتى عن الظهور في المحافل الدولية[5].

---

[1]– أحمد مهساس: الحركة الثورية في الجزائر 1914– 1954، دار المعرفة ،الجزائر 2007، ص 45.

[2]– يحي بوعزيز: الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، من خلال نصوصه (1912– 1948) ، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2009، ص 16.

[3]– خيثر عبد النور وآخرون: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830– 1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر 2007، ص 246.

[4]– إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 221.

[5]– أبو القاسم سعد الله:الحركة الوطنية...،ج2 ،المرجع السابق، ص 387.

حققت الدوائر الاستعمارية في الجزائر هدفها بحيث في المرحلة الأولى من مخططاتها تمكنت من إبعاد الأمير خالد عن مجال العمل السياسي، وألحقت بحركته في الانتخابات الهزيمة، وفي المرحلة الثانية الضغط المباشر لنفيه من الجزائر[1].

وحسب الدكتور أبو القاسم سعد الله، فقد كتب الأمير إلى أصدقائه رسالة في 30 جويلية 1923 جاء فيها «لم يعد بمقدورنا إطلاقا العيش في الجزائر حيث أصبحت الحياة فيها بالنسبة لي أمرا لا يطاق ولا يحتمل ولم يعد أمامي إلا الانسحاب إلى بلد تتوفر فيه قدرا أكثر من الإنسانية»[2].

وإذا اتبعنا خطوات الأمير بعد سنة 1925، فإننا نجد أن الحكومة الفرنسية قد سلطت عليه غضبها، ووجهت له عدة اتهامات واتخذت ضده عدة إجراءات فنسبت له تأييد ثورة عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي والمساهمة في إرسال البعثة التي زارت الجزائر سنة 1924، والتي ربط الفرنسيون اتجاهها بالتيار الشيوعي وثورة عبد الكريم الخطابي[3].

ثم ذهبت في تعسفها إلى اعتقاله في الإسكندرية حين كان في طريقه إلى إيطاليا، وحكمت عليه 6 أشهر حبس، ولما أحيل الأمير إلى محكمة ايكس- آن بروفانس في السنة التالية، صرح أمام المحكمة في 26 سبتمبر 1925 قائلا «إن الحكومة الفرنسية قد أجبرته على الإقامة في الإسكندرية، ووفرت له مرتبا بشرط أن يلتزم بالإقامة هناك» لكن موقف «الكارتر ذي قوش» تجاه مطالبه وتجاه القضية الجزائرية، قضى على البقية الباقية من الأمل الذي كان يراوده»[4].

[1]- سعيد بورنان: المرجع السابق، ص 42.

[2]- إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 223.

[3]- يوسف مناصرية: الاتجاه الثوري ...،المرجع السابق، ص 61.

[4]- محمد قنانش: الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919- 1939) ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ص 28.

ثانيا: الوطنية في فكر الثعالبي:

إن الحديث عن الوطنية في فكر عبد العزيز الثعالبي يتحدد من خلال العلاقة الثنائية بين الأمة والوطن، لأنهما عنصران مترابطان فيما بينهما، ولا وجود لعنصر منهما دون الآخر، فالوطنية هي واجب والتزام على جميع البشر نحو القطر الذي نشؤ فيه جيلا بعد جيل للدفاع عنه، حيث إن الوطنية تعني أكثر من حب الوطن، لأن الحب وحده لا ينقذ وطنا اغتصبت أرضه وانتهكت سيادته واستعبد أبناءه واستنزافت موارده، واحتل ترابه، ولذلك كانت الوطنية تعني العمل لتحرير الوطن، بكل ما تعنيه كلمة التحرير من مفاهيم.

الوطنية وعلاقتها بالعروبة والإسلام:

ويؤكد الثعالبي عن العلاقة التي تربط بين العروبة والإسلام بالوطنية، حيث يرى أن العروبة والإسلام قضيتان متلازمتان وهما أساس متين من أسس الوطنية، فيقول: «إن خميرة الأمة الأفريقية هم من الفينيقيين وهم بلا شك عرب أقحاح وقد كانوا أمة تجارة وسياحة ترتاد أساطيلهم الشواطئ للبحث عن الأسواق ... وبعد الفتح الإسلامي، إنقلب نظام الحكم وأصبح نظاما إسلاميا عربيا وحد إدارة هذه البلاد وعدها مملكة واحدة شمالها وجنوبها ولم يمضى وقت طويل حتى اعتنقت البلاد الإسلام واندمجت كلها في القومية العربية، لهذا لا يستطيع المؤرخ مهما تجافى عن الحقائق العلمية أن يفصل شمال إفريقيا عن الأمة العربية ولا يسعه إلا أن يقول أنه جزء منها»[1] فالوطنية هي عاطفة غريزية تغذيها الفطرة وتجليها الحكمة، وتشد أواصرها خصائص للإنسانية الكاملة، والنشأة السليمة والتربية الكاملة[2].

فالوطنية التي يسعى الثعالبي إلى تحقيقها هي إحياء الشخصية التونسية في نفوس التونسيون وذلك من خلال المحافظة على ثوابت وأصل الفرد التونسي والحفاظ على مقوماته العربية الإسلامية وانتمائه فقد أكد أن أهل تونس اليوم هم أحفاد أهلها القدامى العرب الأصلاء حيث يدحض دعوى الاستعمار الفرنسي، أن أهل المغرب من أصل غربي، ويؤكد عروبة التونسيون والمغاربة.

---

[1]– أنور الجندي: المرجع السابق، ص 44.

[2]– محمد محمد حسين: المرجع السابق، ص 82.

وأولى الثعالبي اهتماما كبيرا للنهضة العربية وعمل على تأليف القلوب حولها باعتبارها السناد الأكبر لحركة الحرية الوطنية، ولأنها المنطلق الأكبر للوحدة الإسلامية، وقد كان لهجرته إلى البلاد العربية ومقامه في العراق ومصر، أكبر الأثر في توسيع دائرة جهاده وتوجيهه إلى العمل لنهضة الأقطار العربية كلها وتحريرها من أخطار النفوذ الأجنبي بها وله في ذلك كتابات متعددة وعميقة. والأمة العربية ذات عنصرية واحدة قوية قائمة على وحدة اللغة والدين والتاريخ والمصالح المشتركة يضاف إلى ذلك عنصر حديث من عناصر التكوين الاجتماعي وهو عنصر التذمر والكراهية للطغيان الاستعماري، كما أنه لا يفصل بعض أقطارها عن بعض فاصل طبيعي أو عرقي سوى أوضاع سياسية أرغمت على قبولها إرغاما لا صلة له بنفسيتها وقد يختلف قوة وضعفا باختلاف مناطق النفوذ ودرجة تأثيره فيها، ومهما بالغنا في تقدير أثره فإنه ليس في قوته أن يحلل ما لديها من عقيدة متأصلة فيها وهي «قدسية الذات العربية» ولست أظن أنه يوجد عربي بلغ ما بلغ من الاستخذاء يحترم هذه الأوضاع السياسية النابية، فقد كان الثعالبي رائدا في الدعوة إلى الترابط العربي القائم على القيم الإسلامية، شأنه في ذلك شأن شكيب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وغيرهم من مدرسة الأصالة واليقضة الإسلامية، ويصور الوسيلة للنهضة فيقول: إن الوسيلة الوحيدة للإحياء والتجديد عند العرب هو تفاهم العرب فيما بينهم بدون واسطة الحكومات على ما يضمن سلامتهم وتقدمهم والرجوع بهم إلى نهضتهم الأولى[1].

وهكذا نجد أن الثعالبي عمل في الميادين الثلاثة المتداخلة، الميدان الوطني والعربي والإسلامي الجامع، وأن وجهته في العمل كانت على نفس الطريق الذي سلكته حركة اليقظة الإسلامية منذ بدايتها: طريق الأصالة الجامعة التي رأت في أسلوب العمل الوطني مدخلا إلى التحرر من النفوذ الأجنبي ومنطلقا إلى التقاء العرب تحت لواء الإسلام وبناء ثقافة إسلامية أصلية جامعة[2].

[1]– صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 86.

[2]– أنور الجندي: المرجع السابق، ص 50.

الوطنية والتعليم:

وقد اهتم الشيخ الثعالبي بالعلم والتعليم ،هذا الأخير الذي يعتبر الأساس المتين للوطنية فقد كان الثعالبي حريصا على أن يحرر التعليم، فهو منذ يومه الأول يعرف هدف الاستعمار الفرنسي من السيطرة على التعليم ،وهو ما يسمى «امتصاص الذاتية التونسية وإخراجها من صيغتها القومية والدينية وجعلها أمام الأمر الواقع فرنسية في كل شيء: «لغة وتفكيرا ودينيا وتابعية والأنوف راغمة» ويتحدث الثعالبي عن التعليم الاستعماري في فصول طويلة نشرها في صحيفة السياسة المصرية وفي جريدة كوكب الشرق وعن الأخطار التي واجهت تونس نتيجة لتوسعه وسيطرته على «مدرسة» فيقول: إن الاستعمار نشر لغته في البلاد وطفق يحدث لها مدرسة بعد أخرى، تعجيلا بقلب الأمة المسلمة إلى أمة فرنسية ،وإن جمعية نشر اللغة الفرنسية في باريس كانت تتلقى أنباء هذا الإقبال من الشعب التونسي على تعليم اللغة الفرنسية بمنتهى الإعجاب والتأمل وتنشر عنه التقارير المليئة بالآمال في هضم الروح التونسية ،وتكيل الثناء جزافا على مسيري هذه الحركة في تونس من الفرنسيين، فدفاع الثعالبي على المدرسة العربية التونسية وسعى لكشف سياسة فرنسا الرامية للقضاء على التعليم، وتدمير اللغة العربية ما هي إلا دليل قاطع على وجود روح وطنية لديه[1].

وقد فضح الثعالبي السياسة الفرنسية حول التعليم والتي تهدف إلى تزييف التاريخ وتشويهه والعمل على تزويره ونشر المغالط فيه ،ولذلك أكد على أهمية التربية حيث يقول "أن التربية الحقة المنتجة ليست الدروس بل في التوجيه وسبك العقلية والفكر وتربية الضمير ولهذا حاولوا أن يجعلوا من العرب فرنسويين وكان أساتذة المدارس يؤلفون كتب الدراسة ومنها كتب التاريخ العربي ويقولون فيها إن هذه البلاد هي موطن البربر ثم جاء الرومان وجعلوا منها جنة فيحاء فلما جاء العرب خربوا ودمروا وهم لصوص سلبة، فأبادوا هذه الجنة وأقاموا مقامها الخراب والدمار وهكذا كانوا يعلموننا التاريخ بحيث أن أبناءنا لا يعرفون من تاريخ الإسلام والعرب وغيره وإذا تمكن أحد من تعلم شيء خارج المدرسة عن دينه وقومه ثم أراد أن يناقشهم فالويل له كل الويل".

[1]– أنور الجندي: مرجع سابق، ص 47.

وعلى الرغم من هذا إلا أن هذه السياسة لم تصل إلى هدفها والمتمثل في طمس الهوية الوطنية، وتزييف الحقائق التاريخية بشكل يؤدي إلى تشويه التاريخ العربي الإسلامي لتونس، بل أكدت أن الروح العربية كامنة في النفوس العربية وأن لا شيء يقهرها.

فالأمة حسب الثعالبي لا تحتاج إلى البناء وإنما تحتاج أشد الاحتياج إلى التوجيه في الطريق الصالح ليست هذا التوجيه من عمل الأفراد العاديين بل من عمل الأساتذة فإذا تضافر أساتذة المدارس الابتدائية والثانوية وأساتذة الجامعات على توجيه الروح العربية توجيها علميا صحيحا لخير شعوب العرب.

فسيجدون حياتهم ويفوزون باسترجاع عزهم الماضي وإن أملي لا في السياسيين وإنما هو في الأساتذة لأنهم هم الذين يعول عليهم وهم الذين نبني أمالنا عليهم[1].

فإذا أخلصوا وسعوا في تكوين ثقافة عربية إسلامية حديثة تناسب الأمم الإسلامية ولا مشاحة في الاصطلاح ،فالإسلام لم يكن عقيدة فقط بل هو نظام اجتماعي كامل للحضارة والثقافة والفكر لا يمكن لغير العرب أن يتضافروا على حفظ هذه المدينة[2].

الوطنية وعلاقتها بالحرية:

وقد ارتبطت الوطنية عند الشيخ الثعالبي بالحرية، وذلك من خلال عمله على التحرر من الاستعمار الفكري عن طريق التعليم واللغة للتخلص من التبعية الفكرية، والاستعمار القضائي عن طريق تحرير القانون، والتخلص من الاستعمار الاقتصادي الرأسمالي والاستعمار الذي يقوم على الظلم والاحتقار والاستغلال للمواطن أو تجريده من عقيدته، لذلك ظل الثعالبي يجاهد حتى الرمق الأخير من أجل أن يحقق هذه الأبعاد جميعا للوطنية.

[1]– صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 228.

[2]– المرجع نفسه ، ص 228.

ويحقق الاستقلال التام لبلاده وينال حريته، والتي اشتغلت أخيرا فأصابت بنيرانها العالم المتمدن، يطالب بتغيير جذري لنظام فوت عليه خلال مدة طويلة من الزمن جميع مقاديره وهو يطلب من الشعب الفرنسي أن يرد له ثمرة الانتصارات التي أحرز عليها بعناء ضد الحكم المطلق ،وهي تتمثل في حرياته وتنظيمه الدستوري المقام على المسؤولية والتفريق بين السلط الاجتماعية»[1]. وقد أكد الثعالبي على أن الشعب التونسي مستعد لبذل المستحيل في سبيل تحقيق استقلاله ومستعد لتقديم النفس والنفيس من أجل نيله حريته ،حيث يقول الثعالبي: «إن الروح الاستعمارية غالية على فرنسا ولكن الشعب التونسي مصمم على أن يشتري حريته بكل ثمن وهو لا يبخل بتقديم دمه، أكبر الدليل على ذلك الضحايا التي يقدمها إلى المنافي والسجون»[2].

الثعالبي والوحدة الوطنية:

ومن صور اعتناء الثعالبي بالوطنية تجسيده للفكر الوحدوي الوطني في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك من خلال ما تم شمل تيارات الحركة الوطنية بمختلف اتجاهاتها عند تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي عام 1920م، حيث ذكر الثعالبي في هذا الإطار أنه حرص على وضع مطالب الحركة الوطنية التونسية بشكل تضمن رغبات جميع الأطراف في تونس المعتدلين والمتطرفين منهم وجعل الحزب مفتوحا لجميع فئات المجتمع[3]، ومن هذا المنطلق تمكن الثعالبي من الجمع بين التيارات المتضاربة في المطالب والتوجهات من جهة، وبين المثقفين من جهة، وبين المثقفين ثقافة عربية إسلامية من خريجي جامع الزيتونة والنخبة المثقفة ثقافة فرنسية خريجي المدارس والجامعات الفرنسية من جهة أخرى[4].

[1]– عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة...، المصدر السابق ، ص 291.

[2]– أنور الجندي: المرجع السابق، ص 44.

[3]– صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 17.

[4]– يوسف مناصرية:الحزب الحر...، المرجع السابق، ص 47.

وفي هذا يقول «... رأيت سنة 1921، أن أضع قواعد تحصر فيها مطالب الأمة التونسية، وهي مطالب التسعة وأهمها الاحتكام إلى الكفاءة في الترشيح لوظائف الدولة وفرض التعليم الإجباري وإيجاد مجلس نيابي ينتخب بطريقة الاقتراع المباشر، وله الحق في اقتراح القوانين والتصديق عليها، ولا تبقى في الحكم وزارة لا يمنحها ثقته، عدا وزراء الخارجية والحربية والبحرية، وفهم بحكم صك الاحتلال وزراء دائمون، ومن المطالب أيضا المساواة في توزيع الأراضي الحكومية المعدة للاستغلال بنسبة متعادلة بين التونسيين والفرنسيين وحماية اليد العاملة وتنشيطها فحرصت على وضع هذه المطالب على أن أضمنها جميع رغبات التونسيين المعتدلين منهم والمتطرفين ... فصادفت هوى في نفس مختلف الطبقات»[1].

فقد ضم الحزب الدستوري التونسي عند تأسيسه أربع تيارات: الأول هو التيار الثوري وكان يدعوا إلى الاستقلال الكامل ومعادات الفرنسيين صراحة وكان يمثله محمد باش حامية والتيار الثاني هو تيار المساواة، وكان ينادي بتحقيق المساواة بين الفرنسيين والتونسيين وتحقيق حكم ذاتي في إطار الجمهورية الفرنسية، وتزعمه حسن قلاتي.

والثالث: عبارة عن تيار معتدل وكان يسعى إلى النهوض بالتونسيين في إطار سلطة الحماية وكان يشرف عليه فرحات ابن عياد، أما التيار الرابع: فكان يقوده الثعالبي وقد وقف موقفا وسطا للجميع بين مختلف التيارات وهو في الأصل تيارا عربي إصلاحي إسلامي[2].

وبعد أزمة الحزب وظهور الصراعات فيه حاول الثعالبي تحقيق الوحدة الوطنية رغم أنه كان خارج الديار فطلب من صديقه الشيخ "علي كاهية"[3] أن يقوم بمهمة تحقيق الوفاق بين

[1]– صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 171.

[2]– يوسف مناصرية: الحزب الحر...،المرجع السابق، ص 54.

[3]– علي كاهية: هو علي بن مختار كاهية (1887– 1956)، درس في الزيتونة، من مؤسسي الحزب الدستوري التونسي، وفي منزله صيغت المطالب الثمانية لهذا الحزب وصدرت عدة مجالات بامتيازه، عام 1920م، ينظر :خير الدين شترة :المرجع السابق، ص120.

الطرفين المتنافرين في الحزب ، وإن تعذر الأمر يعقد بينها هدنة مؤقتة إلى حين رجوعه، غير أن "علي كاهية" فشل في مهمته، فلم يستطع الثعالبي العودة إلى تونس لأن سلطات حماية منعته من ذلك إلى غاية 1937م[1]، حيث كان همه الأساسي توحيد صفوف الحركة الوطنية، فجاء خطابه الأول في تونس معبرا عن هذه الرغبة فصرح: «لست ثائرا ولكنني طالب حق وإنصاف، أريد أن أنصف نفسي وأثأر لكرامتي وهذا ما أدعوا إليه الشعب التونسي، فالذي ينقصنا ليس هو العلم والمادة بل هي الإرادة، سلبت ثروتنا وملكنا وعزتنا ولم يبقى لنا إلا آخر معقل وهو الإيمان ... إذا أردنا أن نكون كما يجب فلنقف وقفة الجندي الباسل لإنقاذ الميراث العظيم في تحرير البلاد، فانتبهوا إلى ما يجب عليكم لأنفسهم ولبلادكم لتكونوا قدوة إلى الحياة ترفعون شعار الإسلام والعروبة، يومئذ يتغير التاريخ وتصيرون أحرارا جديرين بالانتساب لهؤلاء الأسلاف الذين دونوا أجمل المفاخر في تاريخ هذا العالم»[2].

فقام بعديد من محاولات من أجل لم شمل أبناء وطنه وتوحيد كلمتهم لكن مساعيه جميعها فشلت وتم تقسيم الحزب، ورغم فشل الثعالبي في مسعاه من أجل تحقيق الوفاق بين شقي الحزب الدستوري إلا أنه واصل العمل الوطني وسجل مواقف مشرفة لصالح الوحدة الوطنية.

إن هذه الدوافع والعوامل المجتمعة الداخلية والخارجية ساهمت في تشكل الوطنية من خلال دفع كل ذي وطنية أن يندفع لأجل الدفاع عن وطنه وعن الهوية الوطنية، وقد قبض الله للجزائر وتونس والأمة الإسلامية في تلك الظروف رجالا ساهموا في ذلك، ويعتبر الأمير خالد والشيخ الثعالبي من أهم العلماء ورجال الإصلاح والسياسة في المغرب العربي حيث شكلت الوطنية انشغالا لديهم .

[1]– مسعودة مسعود بو الخضرة: المرجع السابق، ص 51.

[2]– صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 285.

خاتمة

وفي الأخير وبعد محاولتنا الإجابة عن الإشكاليات المختلفة التي طرحناها في هذا البحث, توصلنا إلى عدة إستنتاجات نعرضها كالأتي:

قام كل من الأمير خالد والثعالبي بالتصدي والوقوف في وجه الإستعمار وأعوانه، وذلك من خلال كشف وفضح مخططاته الجهنمية التي تحمل بذور التفريق لا التوحيد والشر دون الخير للقضاء على كينونة الشعوب المغاربية, حيث شكلا تهديد لتواجده في المنطقة وذلك من خلال محاربة سياسته المبنية على أساس الفرنسة والتجنيس والتنصير والإدماج وطمس الهوية العربية الإسلامية لشعوب المغرب العربي ككل والجزائر وتونس على وجه الخصوص.

إجتمعت العديد من الظروف والعوامل الداخلية والخارجية التي عملت على تبلور الروح الوطنية عند الرجلين, فمن أهم هاته العوامل نجد أن الوسط أو البيئة التي نشأ فيها الرجلين كان لها الأثر الواضح في بناء شخصيتهما, كما أثرت الحرب العالمية الأولى وتداعياتها على الشعوب المستعمرة, وكذا تأثرهما بالإتجاهات الإصلاحية النهضوية المشرقية حيث تأثرا بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده, وعبرا عن إعجابهما بمسار ورجالات النهضة.

أوجه التشابه :

تميز أسلوب الشخصيتين في مسار نضالهما ضد القوات الإستعمارية بجملة من الخصائص أهمها: الإيمان بالله، والصبر عند الشدائد وقوة المبدأ والثبات عليه إتجاه المستعمر والشجاعة في الموقف، والمراوغة أحيانا للتخفيف من روع وبطش الإستعمار, لإكمال المشروع النهضوي التحرري .

إن الفكر الإصلاحي عند الرجلين يمتاز بالواقعية في التعامل مع مختلف القضايا الراهنة, ولعل أهم نقطة ركزا عليها وشغلت فكرهما هي فن التعامل مع المستعمر من أجل

إفتكاك الحرية المغتصبة، وتحرير بلديهما من هيمنته, لذلك كان إيمانهما هو أن تكون الأولوية للإصلاح والتغيير هي البداية بتغيير الأنفس وتحريرها من عقدة النقص والخوف, ثم الإرتقاء بالفكر إلى مصاف المثل العليا للوطنيين المغاربة وذلك بإنتهاج وسائل كفيلة لمواجهة الإستعمار كالمدارس الحرة والمساجد والنوادي والجمعيات والصحافة وغيرها من الوسائل, كل هذا يساهم في التحرر من القابلية للإستعمار.

حاول الزعيمان القيام بعمل نضالي مشترك من أجل التخلص من الإحتلال وتوحيد جهود العمل, هذا الهدف الذي عزز الشعور بالإنتماء إلى الوطن الواحد, حيث قام الثعالبي بالإتصال بالأمير خالد من خلال أصدقائه لدراسة الفكرة لكن المشروع للأسف لم يكتمل، مثل هذه المشاعر المفعمة بالوطنية الصادقة إلتف حولها الوطنيون المغاربة أمثال الأمير والثعالبي من أجل الوقوف في صف واحد لمواجهة الإستعمار على أساس الروابط التي جمعتهم كالدين واللغة والجغرافيا والتاريخ والمصير المشترك.

أوجه الاختلاف :

إختلف أسلوب الرجلين في طريقة تعاملهما مع الإستعمار, حيث إنتهج الثعالبي أسلوب المرحلية بالإعتماد على سياسة التربية التي يعتبرها اللباب والأصل لتكوين جيل قادر على تحرير البلاد والعباد وتحقيق الحرية والإستقلال, في حين كان أسلوب الأمير خالد يطالب بالإصلاحات ومنح الجزائريين حقوقهم, وتحسين أحوالهم لكن بعد ذلك إقتنع الأمير بأنه لا إصلاح مع وجود إستعمار أجنبي.

إن طبيعة الوجود الإستعماري في البلدين أثر على وطنية الرجلين وترجمتها على الواقع, حيث نجد في الجزائر إستعمار مباشر هذا الأخير كبت وطنية الأمير خالد من خلال القيود والسياسات المنتهجة من طرفه والتي أثرت بصفة عامة على الفكر الوطني في الجزائر, على عكس الثعالبي والذي كانت بلده في ظل نظام الحماية وكانت حريته اكبر،

حيث استطاع التعبير عن وطنيته وإظهارها بشكل واضح سواء من خلال كتابته الصحافية أو الخطب التي كان يلقيها.

إن التصادم المباشر مع قوات الإحتلال أعاق نشاط الأمير خالد خاصة بعد ما وقف الشعب معه في الحملة الإنتخابية البلدية سنة 1919, حيث أكد على وطنيته الأمر الذي حدا بإدارة الإحتلال أن تكيد له كيدا وطرده من الجزائر اي تم نفيه إجباريا, على عكس الثعالبي الذي جاء نفيه بإختياره حيث قام بالعديد من الرحلات وزار الكثير من الدول معرفا بقضية وطنه .

أيضا ما يؤكد على تضييق الإستعمار على الأمير هوما حدث في مؤتمر الصلح سنة1919 م, حيث قامت السلطات الإستعمارية برفض الوفد الجزائري على إعتبار أن الجزائر من مستعمراتها وهي التي تدير شؤونها, بحيث شارك الوفد التونسي وعرض قضية بلده دون ضغوطات وقد قام الثعالبي بنشر كتابه الشهير "تونس الشهيدة" والذي كان يعبر عن شرح طويل ومفصل لأوضاع بلده.

– لاحظنا أن إزدواجية الثقافة لدى الأمير خالد حيث كانت له ثقافة عسكرية وإسلامية مما إثر على مفهوم الوطنية لديه حيث طغى على مفهومها الجانب المادي فكانت تتمثل عنده في الزي الرسمي (اللباس) طريقة الوقوف تحية العلم وغيرها هذا نظرا لتكوينه العسكري, أما الوطنية عند الثعالبي فكانت ذات بعد روحي ومعنوي وهذا راجع إلى أن الثعالبي رجل إصلاحي وتربوي قبل أن يكون رجل سياسة .

كما نجد إختلاف آخر بين الشخصيتين وذلك من خلال المصطلحات التي كانا يستعملانها,فعند دراسة ومراجعة أقوال ومواقف الأمير خالد لا نعثر فيها على مفاهيم تعنى بحرية الإنسان الجزائري وإستقلاله التام عن فرنسا, أما الثعالبي فقد كانت معالمه واضحة

ومصطلحاته, حيث كان يستعمل ألفاظ ومفاهيم بارزة كالأمة الحرية, الشعب, الإسلام والعروبة.

عند دراسة الفترة الزمنية والمسار النضالي لكل من الأمير خالد ولثعالبي نجد أن الفترة النضالية للأمير كانت قصيرة مقارنة بالثعالبي وهذا ما أدى إلى تطور وترجمة وطنية الثعالبي بوضوح, وفي إعتقادنا لو كانت فترة الأمير أطول من إطارها الزماني الذي عرفناه (1919-1923) لرأيناها (وطنية الأمير)هي كذلك وبرزت أكثر.

يعتبر الأمير خالد من دعاة القطرية بخلاف الثعالبي الذي يعتبر من دعاة الوحدة العربية الإسلامية.

ملاحق

ملحق رقم (01): صورة الأمير خالد.

حكيم بن الشيخ: المرجع السابق: ص 177.

الملحق رقم (02): رسالة الأمير خالد إلى م. هيريو 1924.

رسالة الأمير خالد إلى السيد إ.هريو(1924)

سيادة الرئيس

إن الجزائريين ينظرون إلى توليكم الحكم على أنه طالع سعد ، وعهد جديد لدخولهم في طريق التحرر. وباعتباري أحد المدافعين المتواضعين عن قضية أهالي الجزائر منفيا لأنني دافعت عن مصالحهم الحيوية بصراحة فان لي الشرف أن أقدم إلى رئيس الحكومة الفرنسية الجديد برنامج مطالبنا الأساسية:

- تمثيل (الجزائريين) في المجلس الوطني الفرنسي بنسبة متعادلة مع للأوروبيين الجزائريين
- إلغاء كامل ونهائي للقوانين والإجراءات الإستثنائية,وللمحاكم الجنائية,وللمراقبة الإدارية (ليتردى كاشي),مع العودة التامة البسيطة الى القانون العام.
- نفس الواجبات ونفس الحقوق(للجزائريين)مثل الفرنسيين بخصوص الخدمة العسكرية.
- ترقي الجزائريين الى كل الدرجات المدنية و العسكرية دون أي تمييز ما عدى الجدارة والقدرات الشخصية.
- تطبيق كامل لقانون التعليم الإجباري على الجزائريين ,مع حرية نشر التعليم.
- حرية الصحافة و الإجتماع.
- تطبيق قانون الفصل بين الكنيسة والدولة بالنسبة للدينا الإسلامي.
- العفو الشامل.
- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على الجزائريين.
- الحرية المطلقة للعمال الجزائريين ,مهما كانت مراتبهم,في الذهاب إلي فرنسا.

وبالتأكيد,ليس هناك تناقض بين هذه(المطالب)وبين البرنامج الليبرالي لوزارتكم وحزبكم.فدعونا إذن نحمل أملا راسخا في أن رغباتنا لشرعية المشار إليها سابقا ستحظى بتقدير عال، وأرجو أن تتفضلوا سيادة الرئيس، بقبول فائق تقديري **الأمير خالد من المنفى** (*)

أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900– 1930، ج2، دار الغرب الإسلامي ، ص 431.

الملحق رقم(03): الأمير خالد المؤتمر العربي الأول.

الأمير خالد والمؤتمر العربي الأول

انعقد المؤتمر العربي الأول في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية ـ بشارع سان جرمان ـ في باريس وذلك في الفترة ١٨ـ ٢٣ حزيران ـ يونيو ـ ١٩١٣، بهدف مقاضاة الدولة العثمانية في حقوق العرب ـ في ظل الخلافة العثمانية ـ. ولم تكن الجزائر المجاهدة غائبة عنه، إذ كان من المتوقع أن يحضره الأمير خالد، حيث وجهت إليه الدعوة للمشاركة فيه، غير أن الأمير خالد كان في هذه الفترة مشغولاً بالاستعداد للسفر إلى دمشق، ولم يترك الفرصة تفوت دون أن يسجل موقف الجزائر في المؤتمر، فبعث بالرسالة التالية التي تليت في الجلسة الختامية:

الجزائر ـ ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣١.

إلى السادة الأفاضل العظام أعضاء المؤتمر العربي

اتصلت بدعوتكم لأبناء الأمة العربية بكل فرح وسرور. وأدعو الله من صميم الفؤاد أن يثبت سعيكم، وإني واحد منكم قلباً وقالباً. وما دامت الأفكار شريفة، والمقاصد عفيفة فلا شك من النجاح. وأخبركم بأن دعوتكم كان لها صوت رنان، وقد انتشرت في جميع الآفاق. وأتتنا الجرائد الشرقية والغربية بما يسر الخاطر، ويبعث على الأمل بنجاح هذه النهضة العامة، ولا شك في أن الدولة العثمانية توافق على طلبنا بتحسين الإدارة الداخلية، حتى تترقى سوريا في أوج المعالي. وبترقيتها تكون نتيجة حسنة للدولة العلية. هذا مع أن المراد عدم الخروج من تحت سلطتها فالمولى يوفّق الجميع لما فيه صلاح الوطن والأمة. وكنت أود أن أحضر بنفسي في مؤتمركم العظيم، ولكنني مشتغل بالسفر إلى زهرة سوريا، منشئي ووطني دمشق. وهنالك أقف حسب طاقتي بما هو واجب على كل وطني غيور. والسلام.(١)

خالد
ابن الأمير الهاشمي الحسني
حفيد الأمير عبد القادر

بسام العسلي: المرجع السابق، ص 201.

الملحق رقم (04): رثاء العيد آل خليفة للأمير خالد.

في رثاء الأمير خالد

الجزائر المجاهدة ترتدي السواد حداداً على الأمير خالد، ويقيم شعب الجزائر المجاهد احتفالاً تأبينياً، يقف فيه الشاعر الجزائري المجاهد ـ محمد العيد ـ ليلقي قصيدة في رثاء أخيه المجاهد (الخالد) بما قدمه لشعبه (تحت عنوان يا بلاداً)[1].

يـا بـلاداً، يخـزى الكـرام عـليهـا
ويـعـز الأسـافـل الأوغـاد
يـا بـلاداً، يـطوى الجميـل وينسى
الـعهـد فيهـا، ويخـلف الـمـيـعـاد
يـا بـلاداً، لا يثبت الـرأي في شيء
عـلـيـهـا، ولا يـدوم الـوداد
يـا بـلاداً، يلقى النبـوغ بهـا الشؤم
ويـسـعى فـي قـتـلـه الـحـساد
يـا بـلاداً، مـا للزعـامـة فـيـهـا
قـوة، أو لـزاعـمـيـهـا اتـحـاد
لا تـسـومي آسادك الغلب ضيـماً
فـمـن الـضـيـم تـأنـف الآسـاد

إكتفي في البـرور منـي يـا أرض
بـشـعـر بـه يجيـش الـفـؤاد
ذي مـعـان، أبـيـهـا مـسـتجـيـب
وقـواف، عـصـيـهـا مـنـقـاد
كـل جـهـدي عليـك قـول مقفى
كـل مـالـي يـراعة ومـداد
إنـا مـهـمـا بـكـاك منـي (امـرؤ
القيس) وحـيـا حمـاك منـي (زيـاد)
لـسـت أجـدي عـلـيـك. يـا أرض
مـا يجـدي عليـك النجـار والحـداد
غـيـر حـي عـلى الـبـسـيـطة شـعـب
لـيس فـيـه صـنـاعـة واقـتـصـاد

بسام العسلي: المرجع السابق، ص203.

الملحق رقم (05): النشيد الوطني الذي تركه الأمير خالد.

نشيد وطني

(تركه الأمير بتلمسان عند زيارته لها سنة 1922)

هيا بنا

هيا بنا أهل الوطن نحيا لفرائض والسنن
فالسعد في هذا الزمان بالاجتهاد مع المنن
هيا بنا هيا بنا نعلي ديار جدودنا
ونحامي عن أوطاننا بالفعل والقول الحسن
هيا بنا زاد العنا و الجهل أصبح ديدنا
و العلم ضاع فليتنا متنا فقد ضاعت الفطن
سبل الهوى لا تسلكوا ودينكم لا تتركوا
وعزكم فاستدركوا ولا تبالوا بالمحن
رجاؤنا في عصركم تكونوا مثل غيركم
تسترجعوا لمجدكم مجد الأباء المستكن
ألتمسوا ابن رجال؟ فتلتمسوا فرع الكمال؟
بالمال تهدم الجبال كذلك الجهل يهان
يا ربي يا نعم اللطيف عد يقظة الشرع الشريف
بالخير والفضل المنيف أصلح لنا أهل الزمان *

محفوظ قداش ومحمد قنانش: نجم شمال أفريقيا (1926- 1937)، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، 1984، ص 25.

الملحق رقم(06): صورة عبد العزيز الثعالبي.

صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 05.

الملحق رقم (07): حوار الثعالبي مع أمه.

عبد العزيز الثعالبي

« كنت صغيرا ورايت امي تبكي فسألتها السبب فقالت : اما رايت الفرنج مروا من هنا ؟ وهؤلاء لا يخرجون إلا بالحرب » .

عبد العزيز الثعالبي تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص105.

الملحق رقم (08): طلب إصدار جريدة سبيل الرشاد.

الارشيف الوطني التونسي

صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 25.

الملحق رقم (09): ديباجة جريدة سبيل الرشاد.

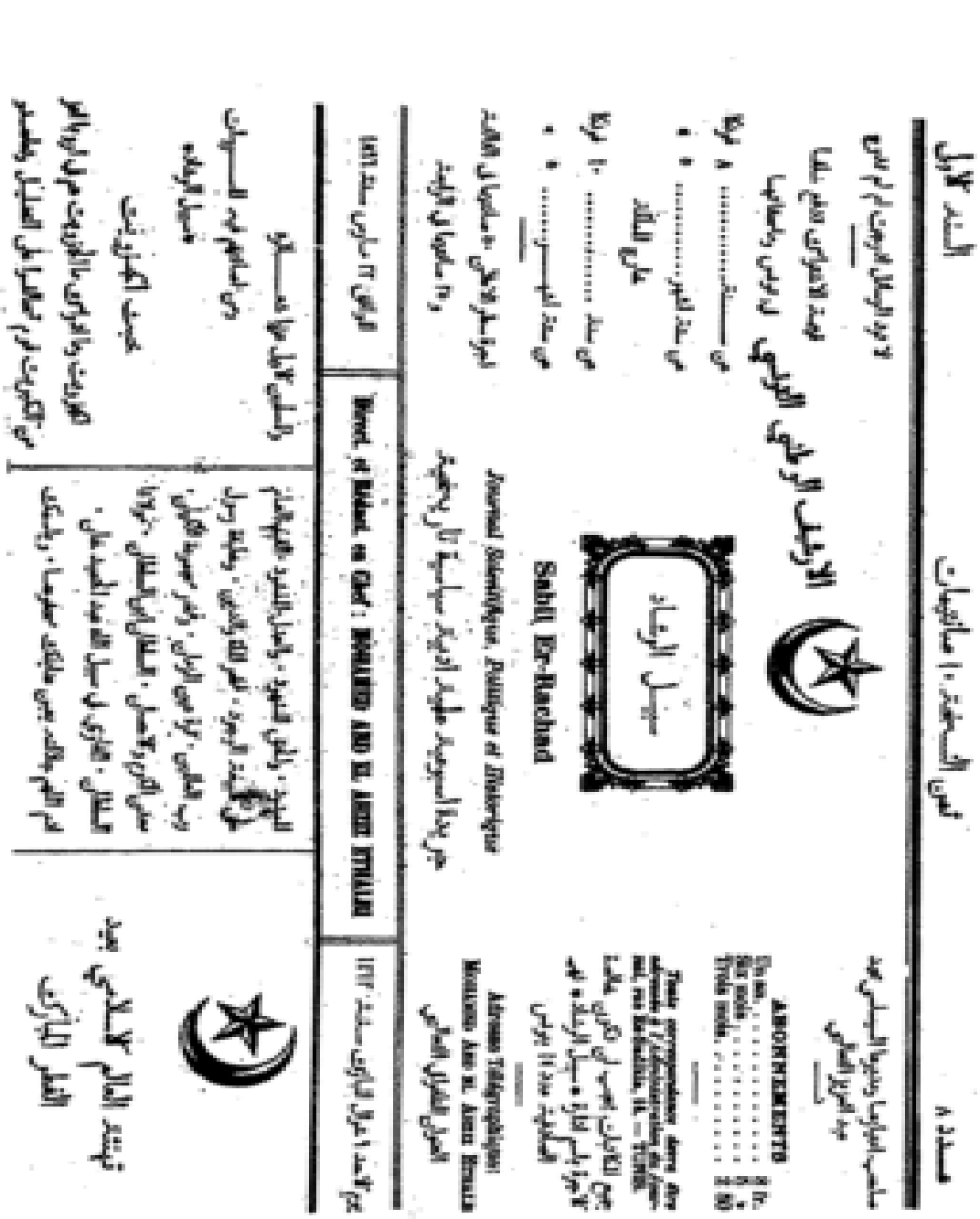

صالح الخرفي: المرجع السابق، ص26.

الملحق رقم (10): برقية بشأن سفر الثعالبي إلى الجزائر.

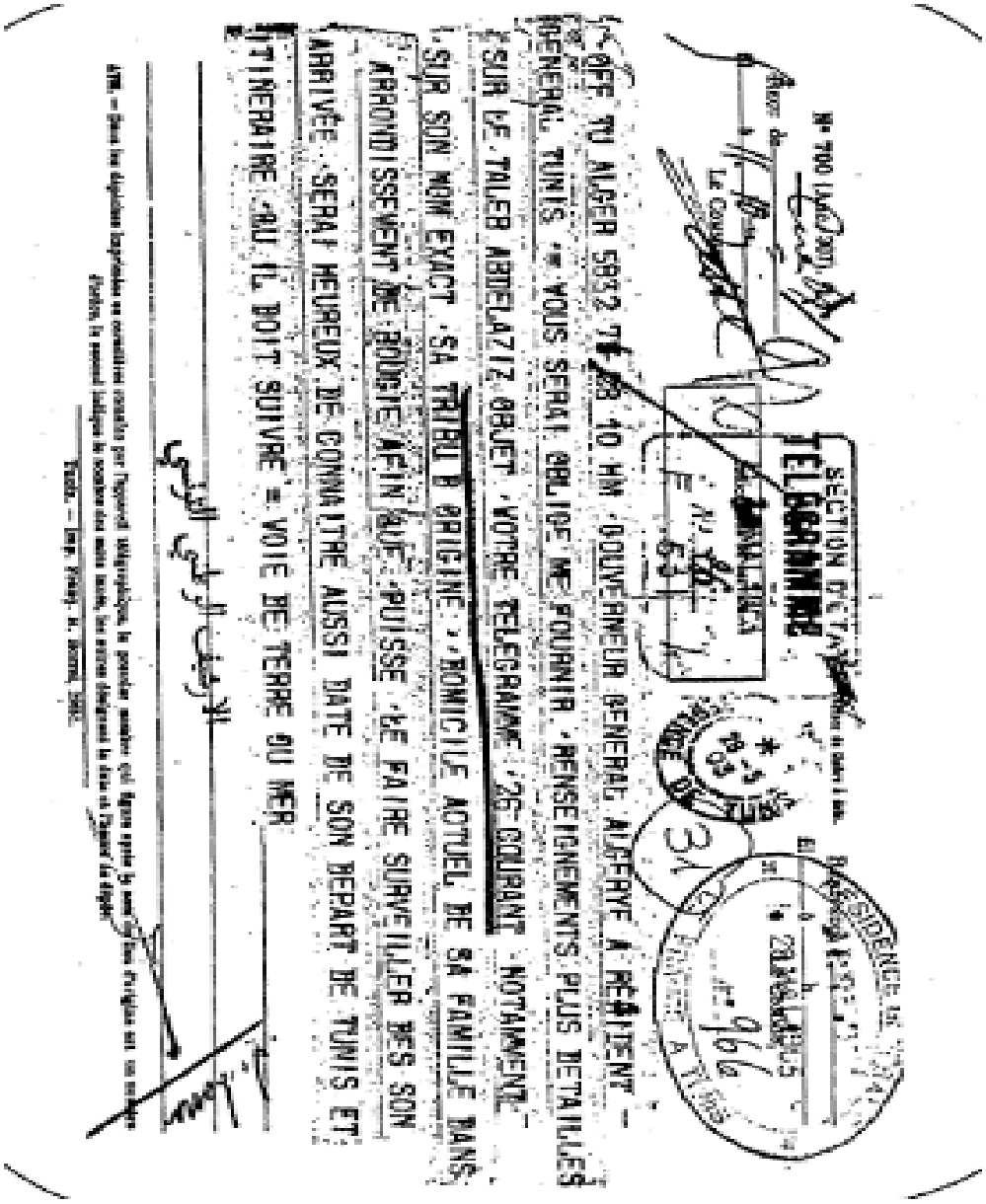

صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 63.

الملحق رقم (11): رسالة بخط الثعالبي وامضائه عن محاولاته سنة 1903لإصدار جريدة عربية في الجزائر والمغرب.

الأرشيف الوطني التونسي

صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 64.

الملحق رقم (12): رسالة بخط (علي باشا حامبه) وإمضائه لإصدار النسخة العربية من جريدة التونسي التي سيتولى الثعالبي المهمة الأولى في تحريرها.

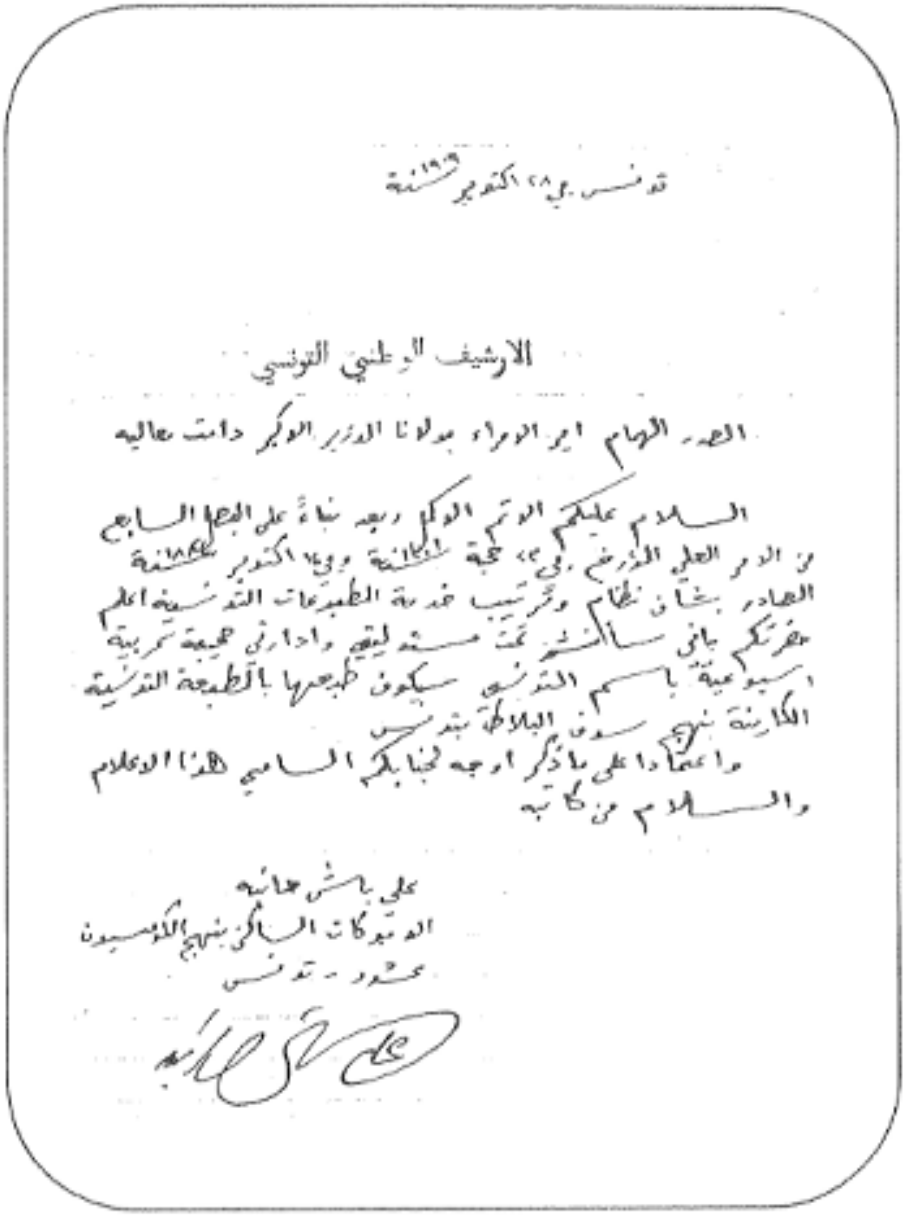

تونس في ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٩٩

الارشيف الوطني التونسي

الحضرة الفخام امير الامراء مولانا الوزير الاكبر دامت عاليه

السلام عليكم التام الوافر ربعه نباهة على الفعل السابع من الدور العلي الارضي في ٢٠ حجة الحرام سنة ١٣١٦ وفي ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٩٨ العامر بشان نظام وترتيب خدمة الطبعات التونسية اعلم حضرتكم باني سالتشم تحت مسئوليتي واداري جميعة تربية اسبوعية باسم التونسي سيكون طبعها بالطبعة التونسية الكائنة بنهج سوق البلاطة بتونس

واعتمادا على ما ذكر اوجه لجنابكم السامي هذا الاعلام والسلام من كاتبه

علي باش حامبه
الموكلات المالكي بنهج الكومسيون
بتونس

صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 84.

الملحق رقم(13): جوزا السفر الثعالبي في العودة لتونس.

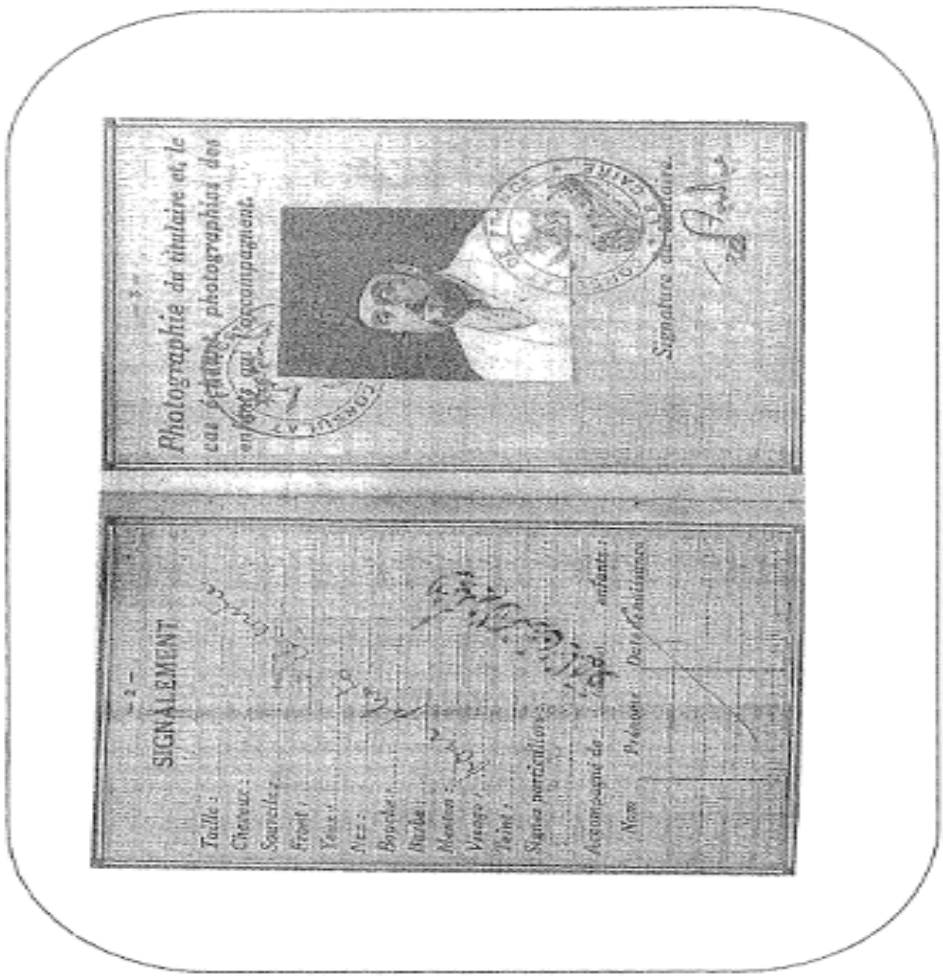

صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 255.

الملحق رقم(14): نعي الثعالبي في جريدة الزهرة.

عبقري يسقط في الميدان

امس الاحد على الساعة العاشرة صباحا انطفأ مشعل وقاد من مشاعل المعرفة والنبوغ وانهد ركن لا يعوض من اركان البراعة والاقتدار وخفت صوت رنان من اصوات البلاغة الفذة والسامية كان دويه يتجاوب في مختلف القارات وكان في جيبها محل التقدير والاعجاب ألا وهو الاستاذ الجليل والمؤرخ الضليع والكاتب الكبير والخطيب المصقع الشيخ عبد العزيز الثعالبي برد الله ثراه وجعل الجنة مثواه ومثواه

لقد افتأته المنون اثر مرض الزمه الفراش منذ بضع سنين لكنه لم يحرم مريديه من الانتفاع بسديد علمه الفياض وتجربته الناضجة ونتائج مشاهداته وسياحاته في الشرق والغرب فكان منزله عبارة عن تناد حافل باهل العلم وبرواد المعرفة يأتونه من كل فج عميق تطلبا للاستشارة وسعيا وراء تشحيذ القرائح بما فيه نفع الجمهور وما فيه تنويه بسالف مجدنا واستثارة لدفائن ماضينا الحافل بالمفاخر وما فيه تبصرة وذكرى للاجيال الحاضرة في السير على سنن السلف المجيد وفي اقتفاء أثره في الفضائل والكمالات وتحامد الصفات . وكان رحمه الله من أشد الناس إيمانا بفضل التآزر وضم الاواصر شديد الغيرة على بلاده حريصا على رفع مستواها من جميع وجوهه عاملا طول حياته على ايقاظ الهمم وحث العزائم في سبيل الخير والنفع العام لم يغادره حنينه لهذا الوطن حتى في أوقات ابتعاده عنه السنين الطوال فكان سواء في الشرق أو في الغرب يقتبل الوافدين من تونس ويحفهم بوجاهته على قضاء حاجاتهم ويسهل عليهم وسائل إقامتهم في بلاد الغربة وكان متحليا بمحامد الاخلاق وإن المريكة شديدا في الحق حق ادركته الحنية وهو ثابت الذرع محاطا باحترام مواطنيه وفي عشية الامس احتفل بتشييع جنازته من دار الكائنة بنهج الشوك في موكب حافل شاركت فيه سائر طبقات البلاد رحمه الله رحمة واسعة ورزق أهله وذويه ومقدري فضله نعمة الصبر والسلوى .

الارشيف الوطني التونسي

صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 23.

الملحق رقم (15): الثعالبي مع رجال العروبة والإسلام في القا هرة.

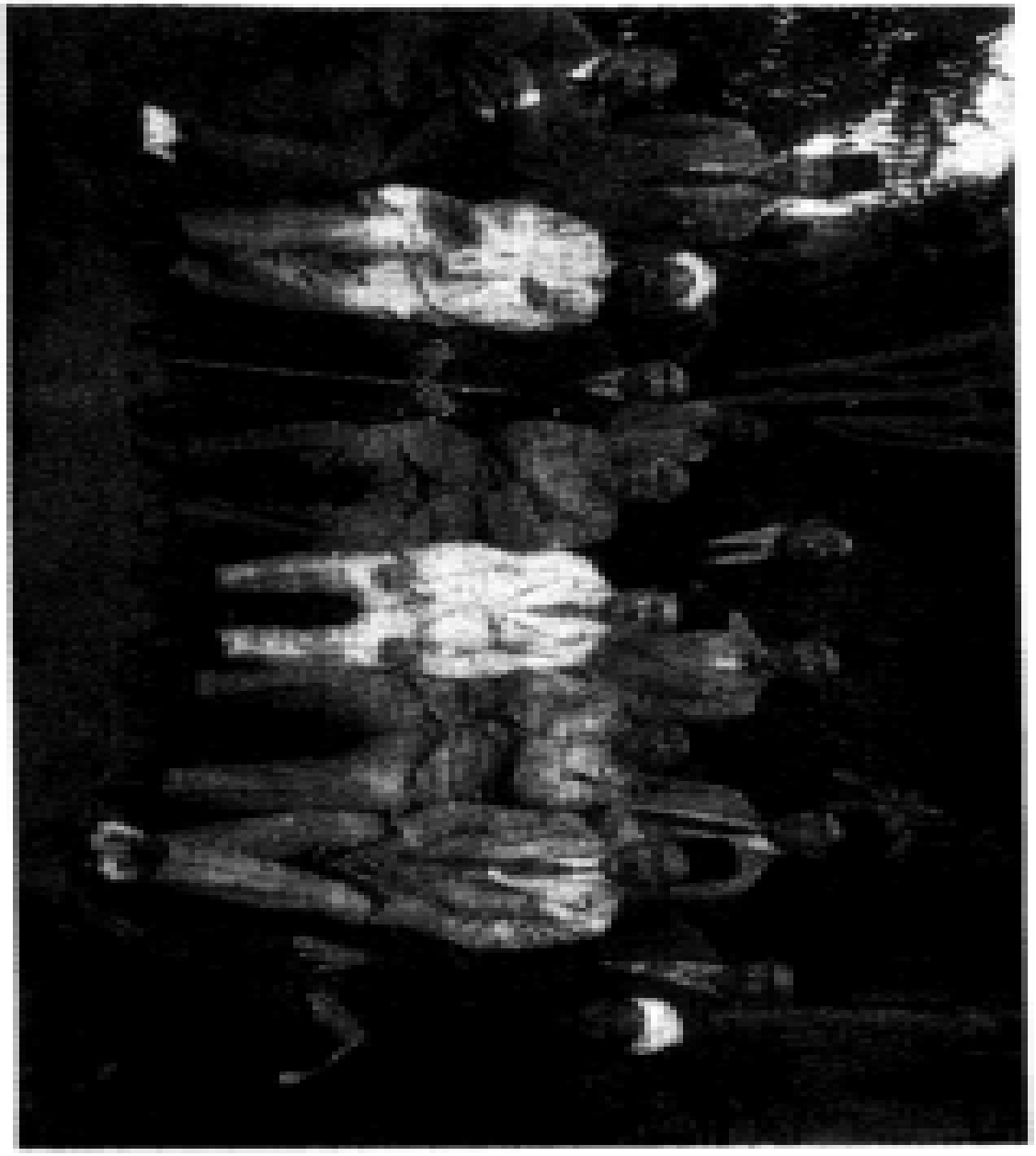

صالح الخرفي: المرجع السابق، ص84.

الملحق رقم (16): نعي الثعالبي في مجلة الثورية.

حداد الامة التونسية

على المرحوم النعم الشيخ عبد العزيز الثعالبي

الله اكبر لقد مات الشيخ الثعالبي

الله اكبر لقد انتقل الى عالم الخلد

الله اكبر لقد توفي في تونس ابن ابيها الكبير وعالمها الفذ وعبقريها النابغ لقد قضى نحبه

مات شيخ الجامع وخطيب المحافل وامام المؤرخين . الرجل الذي ملأ حياته الاولى . واسم ذكره الشرق والغرب

انتقل من هذا العالم الفاني الذي لم يسع روحه فكانت ترفرف في جوانبه واجوائه . وتشتاق منه الدنيا بعد ان جاب منها وعجائبها وربوعها وشرب في جوانب مغاربها الاقصى والادنى . وساح في عراتيها الشرقي والغربي . وخطب وحاضر وكتب وسطر .

كان الثعالبي رجل العالم العربي يزار في كل بلد منه فيلتف حوله ابناء وطنه لا يختلفون به كما يجب عنهم ولكنهم يكرمونه كما يكرم الاكابر والعظماء الرؤوف .

بل كان الثعالبي رجل العالم الاسلامي الذي لا تحترق حواجز اللغات والجهات الى الخيلوة به ويعين بما يريده سبيلا في كل كتبه وخطبه وسياساته اصدقاء واصفياء . وفي الافغان وايران اكبر خلان .

وبعد فقد رقد الشيخ عبد العزيز ابن العالم الورع الشيخ السيد ابراهيم ابن السيد عبد الرحمان الثعالبي في البوم الرابع عشر من شعبان سنة ١٣٦٣ وحفظ القرآن العظيم بكتاب جامعة الاعظمي بالحاضرة التونسية وقضى في ذلك سبعة اعوام . ثم في سنة ١٣٠٦ انخرط في سلك تلامذة جامع الزيتونة الاعظم واستمر على التعلم فيه الى سنة ١٣١٤

صالح الخرفي: المرجع السابق، ص 24.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر والمراجع :

اولا:المصادر

1.الأميرخالد: رسالة إلى الرئيس ويلسون ونصوص أخرى, وزارة الثقافة، الجزائر، 2011.

2.الثعالبي عبد العزيز: سقوط الدولة الأموية وقيام الدول العباسية (132هـ . 750هـ) تر:حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي – بيروت – 1995

3.الثعالبي عبد العزيز: الرحلة اليمنية12أغسطس.17أكتوبر1924، تق:حمادي لساحلي،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997.

4.الثعالبي عبد العزيز: تونس الشهيدة تر:سامي الجندي، ط1، دارالقدس، بيروت لبنان،1957.

ثانيا :المراجع

5.تقية محمد: الثورة الجزائرية المصدر الرمز والمال، تر: محمد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010.

6.الجندي أنور: عبد العزيز الثعابي، رائد الحركة والنهضة الاسلامية، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1984.

7.جوليان شارل أندري: أفريقيا الشمالية تسير،تر: المنحي سليم وآخرون، ش . ت . ن . ت، تونس 1976.

8.جغلول عبد القادر: الاستعمار والصرعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، ط 1، دار الحداثة، لبنان، 1984.

9.حسن محمد محمد: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر من الثورة العربية إلى قيام الحرب العالمية1، ط 7، مؤسسة الرسالة، ج1، بيروت، لبنان، 1984.

10. بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر، من البداية إلى غاية 1962، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997.

11. بوحوش الصادق: الفكر السياسي للثورة التحرير الجزائرية، مقاومة في دراسة الخلفية، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

12. الخرفي صالح: عبد العزيز الثعابي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1995.

13. الخرفي صالح: الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

14. خيثر عبد النور وآخرون: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830. 1954، منشورات المركز الوطني والبحث، الجزائر، 2007.

15. بن خليف عبد الوهاب: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال،ط 1، داردزاير، الجزائر، 2013.

16. بن خدة بن يوسف: جذور أول نوفمبر،تر: مسعودة حاج مسعود، دار هومة، الجزائر2010.

17. دبوز محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، الجزائر، 2007.

18. الدبلوماسية الجزائرية من (1830. 1962)، دراسات وبحوث حول تطور الدبلوماسية الجزائرية، ط2، م . و .. ب . ث، دار هومة، 1998.

19. بورنان سعيد: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830. 1962)، ط2، دار الأمل، ج2، 2004.

20. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية1900 – 1930، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج2، الجزائر،1983 .

21. الشاطر خليفة وآخرون: تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودول الاستقلال، ج3 تونس،2005.

22. بن الشيخ حكيم: الأمير خالد ودوره في الحركة الوطنية ما بين 1912 . 1936، دار العلوم والثقافة، الجزائر.

23. شترة خير الدين: اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900. 1939، دار البصائر، الجزائر، 2009.

24. الصديق محمد الصالح: أعلام من المغرب العربي، موقع النشر، ج1، الجزائر، 2007.

25. بلعباس محمد: الوجيز في تاريخ الجزائر الحديث، دار المعارف، الجزائر، 2009.

26. العايب معمر: مؤتمر طنجة المغاربي، دراسة تحليلية وتقيمية، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010.

27. عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة، ج 1، الجزائر، 2009.

28. العسلي بسام: الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النقاش، الجزائر، 2010.

29. العسلي بسام: قادة الجزائر التاريخيون، دار العزة والكرامة، ج3، الجزائر، 2009 .

30. بوعزيز يحي: الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912. 1948، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

31. بوعزيز يحي: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830. 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

32. بن العقون عبد الرحمان إبراهيم: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الأولى 1920. 1936، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، الجزائر، 1984.

33. عبد الله الطاهر: الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، ط 2، دار المعارف، سوسة، تونس.

34. الفاسي علال: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط 6، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، 2003.

35. الفرحي كاشه بشير: مختصر ووقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007.

36. فركوس صالح : المختصر في تاريخ الجزائر ، دار العلوم، عنابة ،2003.

37. قناش محمد: ذكرياتي مع مشاهير كفاح، دار القصبة، الجزائر، 2005.

38. قنانش محمد: الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919. 1939)، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر.

39. قداش محفوظ: تاريخ الحركة الوطنية (1919. 1939)، تر: محمد بن البار، الجزائر، 2010.

40. قداش محفوط: الأمير خالد، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

41. قداش محفوط: جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830. 1954، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر، 2008.

42. القصاب أحمد: تاريخ تونس المعاصر(1881- 1956) تر: حمادي الساحلي ط1، ش،ت،ت، تونس، 1986.

43. كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين، ط 1، مؤسسة الرسالة، ج3، 1993.

44. لكبيرسليمة: من أعلام الجزائر في العصر الحديث، الأمير خالد، مكتبة الخضراء، الجزائر.

45. بو لخضرة مسعودة: الشيخ عبد العزيز الثعالبي ودوره في الإصلاح الإسلامي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.

46. لونيسي رابح وآخرون: رجال لهم تاريخ، دار المعرفة الجزائر، 2010.

47. مهساس أحمد: الحركة الثورية في الجزائر 1914. 1954، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

48. مناصرية يوسف: الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919. 1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

49. مشاطي أحمد: مسار مناظل، تر: زينب قبي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010.

50. مالكي امحمد::الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز الدراسات والوحدة العربية، بيروت، 1994.

51. المحجوبي علي: جذور الحركة الوطنية التونسية 1904. 1934، تر: عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، تونس، 1999.

52. مياسي إبراهيم: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830. 1962، ط2، دار هومة، الجزائر، 2011.

المراجع بالأجنبية:

53-Ageron (c.r): les algeriéns musulmans et la France (1871/1919) .paris.éditionP.U.F.time.11.1968.

- **المقالات الصحفية والمجالات :**

بن الميلي مبارك: الأمير خالد والأمير عبد القادر، جريدة البصائر العدد (141-181) دار العزيز الاسلامي، 2005.

التكريتي غيلان سميرطه: الحركة الوطنية التونسية في السنوات ما بين الحربين 1918-1939، مجلة اداب ، الفراهيدي، العدد 13، كانون الأول 2012.

سلسلة افاق: الزعيم الشيخ الثعالبي وتجديد الفكر الدين ، وزارة الشؤون الدينية، ط1، تونس.

مياسي إبراهيم: ارهاصات الحركة الوطنية، (1900-1914) مجلة المصادر، م- و- ب- ج- ث، الجزائر، العدد 6- مارس- 2002.

- **الرسائل الجامعية:**

1.إيزير محمد: عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره (1876-1944) رسالة ماجستير: جامعة الجزائر في، 2010،2011.

2.بوصبيع الهام إبراهيم: حركة الأمير خالد، وجمعية العلماء المسلمين، مذكرة ليسانس L M D، في التاريخ العام، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الوادي – 2013-2014.

3.طرفاوي أحمد: عبد العزيز الثعالبي وبعض قضايا فكره من خلال مؤلفاته من 1875،1944، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011،2012

4.مناصرية يوسف: الحزب الحر، الدستوري التونسي، (1919-1934)، رسالة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، اشراف ابو القاسم سعد اللة، الجزائر، (1985-1986).

5.مرجي عبد الحليم: قضايا تحرير المغرب العربي عند محمد البشير الابراهيمي وعلال الفاسي من 1919-1962، مذكرة الماجستير، جامعة محمد بوضياف بالمسية، 2014،2015.

- **البرامج التلفزيونية:**

1.قناة اقراء: محمد موسى الشريف، شريط وثائقي بعنوان الأمير خالد الهاشمي والصراع السياسي، السعودية،2006.

2.قناة الجزائرية الثالثة: جازية بايو رمضان، شريط وثائقي بعنوان: يوم في ذاكرة الجزائر، الجزائر، 2006.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

بسملة

الآية

الشكر والعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة **6-10**

الفصل الأول: الأمير خالد والشيخ عبد العزيز الثعالبي

المبحث الأول: الأمير خالد.....12

- مولد ونسبه 12

- تعلمه 13

- تكوينه العسكري.....14

- نشاطه السياسي 16

- وسائل وأهداف نضاله.....21

- نفيه ووفاته.....22

المبحث الثاني : عبد العزيز الثعالبي.....26

- مولد ونشأته.....26

- رحلاته.....28

- نشاطه السياسي وأهم مؤلفاته.....31

-وفاته.....37

الفصل الثاني :الوطنية في فكر الأمير خالد و عبد العزيز الثعالبي

المبحث الأول: عوامل تشكل الوطنية عند الرجلين.....42

أولا: عوامل تشكل الوطنية عند الأمير خالد.....42

- نسبه الشريف.....42

- مشاركته في الحرب العالمية الأولى.....45

- تأثره بالحركات الإصلاحية في المشرق العربي.....47

ثانيا: عوامل تشكل الوطنية عند عبد العزيز الثعالبي..... 48

- عائلته.....48

- تأثره بجامع الزيتونة ورجال الإصلاح 49

- الحرب العالمية الأولى 50

المبحث الثاني: الوطنية في فكر الرجلين.....55

أولا: مفهوم الوطنية عند الأمير خالد.....55

- دفاعه عن الدين الإسلامي.....55

- برنامج الأمير الإصلاحي.....59

ثانيا: مفهوم الوطنية عند عبد العزيز الثعالبي 64

- الوطنية وعلاقتها بالعروبة والإسلام.....64

- الوطنية والتعليم 66

- الوطنية وعلاقتها بالحرية 67

- الثعالبي والوحدة الوطنية 68

- خاتمة.....72

الملاحق.....77

- قائمة المصادر والمراجع.....90

- الفهرس.....101